# المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين

١ ابريل ( نيسان ) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٣ محرم سنة ١٣٢١

## حروف الطبع العربية

في الكون ناموسان او اسلوبان يجري الارتقاء على حسبهما الاول التغيُّر الجزئي التدريجي من البسيط الى المركَّب ومن الساذج الى المتقن ومن الصعب الى السهل. والثاني التغيُّر الكلي الفجائي الذي يقلب الاشياء قلباً ويحوّلها من حال الى حال. ولكلٍّ منهما شأن كبير في ارتقاء الموجودات جماداً كانت او نباتاً او حيواناً ومادية كانت او ادبيَّة . وعليهما جرى الناس في فلاحتهم وصناعتهم وتجارتهم وامارتهم وسائر اعمالهم

والغالب ان الارتقاء الجزئي التدريجي يسير سيرهُ زماناً طويلاً ثم يأتي الارتقاء الكلي الفجائي فيقلب الاشياء قلباً ويبدل حالها بحال اخرى لم تكن في الحسبان . مثال ذلك ان المركبات التي تجرها الخيل والبغال لنقل الناس والبضائع جرت في سبيل الارتقاء التدريجي حتى كادت تبلغ اقصاهُ وحينئذٍ ظهرت الآلات البخارية والسكك الحديدية فأُبدلت اساليب النقل القديمة باساليب جديدة كما هو معلوم . والسفن الشراعية تدرَّجت في سبُل الارتقاء والاتقان حتى كادت تبلغ حدها وحينئذٍ ظهرت السفن البخارية فانقلبت بها الحال فجأَةً وصارت اكثر السفن بخارية الكبيرة منها والصغيرة . واساليب نقل الاخبار تنوَّعت وارتقت حتى كُشف التلغراف الكهربائي ففاقها كلها وقام مقام اكثرها . والآن قد بلغ حدًّا يفوق التصديق من السرعة والدقة ولكن ظهر التلغراف الذي لا سلك لهُ ولا يبعد ان يتغلَّب عليهِ ويقوم مقامهُ . وقس على ذلك امثلة كثيرة من هذا القبيل

ومعلوم ان اهمال الشيء المتقن وابدالهُ بغيرهِ اصعب من اهمال الشيء غير المتقن وابدالهِ

بغيرهِ . اي ان الاشياء التي تكون غير متقنة يسهل تركها وابدالها بغيرها واما الاشياء التي يفلح الصناع في اتقانها يكثر استعمالها فيصعب تركها على مستعمليها

وقد جرت الطباعة مجرى غيرها من الاعمال . وكان من نصيب العربيَّة ان صُنعت لها حروف الطباعة قبلما صُنعت لاكثر اللغات لا لان اهلها اهتموا بذلك بل لان اهالي اوربا كانوا يهتمون بكتب العرب وعلوم العرب فلم يكادوا يستنبطون الطباعة ويشيعونها في بلادهم حتى صنعوا حروفاً للغة العربية وطبعوا بعض كتبها العلمية الكبيرة . ونحن نكتب هذه السطور الآن وامامنا بعض هذه الكتب منها قانون ابن سينا طُبع في مدينة رومية سنة ١٥٩٣ في دار الطباعة الطبيَّة وطبعهُ واضح جدًّا ولو لم يُعَدَّ جميلاً وحروفهُ متصلة بعضها ببعض احسن اتصال وهي على استواء واحد في سبكها فلا يظهر بعضها غائرًا في الورق وبعضها غير غائر فيهِ كما ترى في الكتب المطبوعة بمطبعة بولاق . والحروف المستعملة في طبعهِ على ثلاثة اقدار كبير ومتوسط وصغير . والكتاب ضخم فيهِ نحو الف صفحة بقطع كبير في الصفحة منها ٥٤ سطرًا ونسق طبعهِ واحد من اولهِ الى آخرهِ . وامامنا ايضًا كتاب تحرير الاصول الهندسية لاقليدس الذي حرَّرهُ نصير الدين الطوسي وقد طبع في رومية سنة ١٥٩٤ وحروفهُ مثل حروف كتاب القانون تماماً وقد صوَّرنا قطعةً منهُ في الشكل الاول المقابل للدلالة عليهِ

وكان الطبع العربي معروفاً في اوربا قبل ذلك فطُبع كتاب المزامير في مدينة جنوى سنة ١٥١٦ وطبع الانجيل العربي في رومية سنة ١٥٩١ وانتشرت الطباعة العربية في كثير من المدن الاوربيَّة فطبع الانجيل العربي في هولندا سنة ١٦١٦ والتوراة العربية في باريس سنة ١٦٤٥ وفي لندن سنة ١٦٥٧ ووصلت المطبعة وحروف الطباعة العربية الى جبل لبنان فطبع المزامير في مطبعة الشوير سنة ١٦١٠

ثم اهتمَّ الاوربيين بتجميل الحروف العربيَّة فبلغت اولاً ما تراهُ في اشكال مطبعة مالطة التي انشأها المرسلون الاميركيون منذ نحو سبعين سنة كما ترى في الشكل الثاني وهو قطعة منقولة عن تاريخ الكنيسة المطبوع في مدينة فالته سنة ١٨٤١ وبلغت اعلى درجات الاتقان الصناعي في حروف مطبعة باريس كما ترى في الشكل الثالث فان كل حرف منها مرسوم رسماً جميلاً من حيث الجزء الغليظ منهُ والدقيق والطبع بهِ على غاية الوضوح يبين بهِ الفراغ في رأس الفاء والميم وهو في الاصل على ورق صقيل يصعب الطابع عليهِ عادةً ومع ذلك لا ترى حرفاً ناتئاً ولا حرفاً غير واضح ولا نظن انهُ استتبَّ لاحدٍ حتى الآن ان صنع حروفاً عربيَّة ادق صناعة من حروف مطبعة باريس هذه ولو كان بعضها غير جميل

الّا ان الذين صنعوا حروف الطباعة العربية حاولوا تقليد الخط تماماً وكان الخط قد ارتقى كثيرًا وعُلِّقت حروفهُ بعضها ببعض فلم يخطر لهم انهُ يمكن فصلها وتبقى مقروءةً ولو فعلوا وصنعوا حروفاً منفصلة خالية من الزوائد لكانت الفائدة اتم

وقد رأى اصحاب المطابع العربيَّة من قديم الزمان انهُ يسهل اهمال بعض الاشكال التي تستعمل في الخط ويبقى الطبع العربي واضحاً فاهملوا كثيرًا منها رويدًا رويدًا حتى صار الطبع على ما تراهُ في الحروف التي نطبع بها المقتطف الآن . الّا ان مطبعة بولاق الاميرية بقيت محتفظة باشكالها الاولى لا تحيد عنها حتى دعت الحال ان انتدبت الحكومة المصرية لجنة تنظر في امرها وفي كيفية اصلاحها برئاسة صاحب السعادة ابرهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية وعضوية حضرات شيلو بك مدير المطبعة الاهلية والجريدتين الرسميتين والشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية في نظارة المعارف العمومية وامين سامي بك ناظر المدرسة الابتدائية ومدرسة المعلمين الناصرية واحمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار . وليس منهم مَن اشتغل بالطبع العربي او بعمل الحروف العربيَّة ولكنهم بحثوا بحثاً دقيقاً فاجلى بحثهم عن فائدة كبيرة كما سيجيءُ وقد نشروا نتيجة بحثهم في رسالة وجيزة قال رئيسهم في مقدمتها ما نصهُ

”كان استنباط الطباعة العربية بمدينة البندقية فيما بين سنتي ١٥١٠ و١٥١٤ ميلاديَّة . فقد ثبت ان اهل هذه الجمهورية هم اول من حفر الحروف اللازمة لطبع الكتب العربية ثم استخدموها في طبع كتب الادعية والصلوات ولا تزال نسخ قليلة جدًّا من هذه الكتب محفوظة الى الآن باشهر المكاتب العمومية بديار اوروبا

”في ذلك العصر كثرت العلائق والمخالطات بين اوروبا واقطار المشرق فمست الحاجة الى تعميم المعارف الشرقية بين الافرنج واضطرتهم الاحوال الى استخدام المطبعة لنشر آثار العرب في العلوم والآداب . فنهضت رومية العظمى واقتفت الخطة التي سلكتها البندقية في هذا الموضوع . وفي تلك المدينة الجليلة التي كانت عاصمة للحضارة الغربية في قديم الزمان تمّ حفر الحروف العربية على قاعدة النسخ في سنة ١٥٩٦ وهي المعروفة الى اليوم بحروف عائلة ميدسيس

”وقد استعارت باريس من رومية هذه الحروف النسخية ولا تزال بأكملها محفوظة فيها وفي مدرسة نشر الديانة برومية الى الآن . وفي سنة ١٥٩١ اهتم الموسيو سڤارى ده بريڤ سفير فرنسا لدى الباب العالي بحفر جملة أقلام ( آباء ) في الاستانة العلية على قاعدة النسخ وهي محفوظة ايضاً في باريس لصب الحروف واستخدامها في مطبوعاتها العربية

”ثم ازداد اشتغال العلماء المعروفين بالمستشرقين باللغات والعلوم الشرقية فاستعارت المدارس الجامعة في انجلترة والمانيا حروف الطباعة العربية بعد تحسينها واتقانها في رومية

”وكان تقدّم الطباعة العربية بطيئاً في بلاد اوروبا لأن اشغالها كانت بالطبع قاصرة على اعمال معينة قليلة . فلذلك لم يكن لها نصيب كبير من حركة الارتقاء التي نالتها الطباعة الافرنجية إذ ما برحت من عهد ظهورها سائرة الى يومنا هذا نحو الارتقاء والكمال

”ومع ذلك فقد بقيت الطباعة مجهولة في بلاد المشرق ما عدا الاستانة العلية وبعض الاديرة ببلاد الشام حتى اذا أغار بونابرت على مصر اضطرّ في اول الامر للاستعانة بمطابع الحجر على نشر منشوراتهِ واوامرهِ باللغة العربية . ثم انشأ مطابع الحروف فيما بعد بالقاهرة والجيزة والاسكندرية . ولكن ادوات هذه المطابع تلاشت مع الاحتلال الفرنساوي“

واستطرد حضرة الرئيس بعد هذا المختصر التاريخي الى ذكر مطبعة بولاق التي انشأها محمد علي باشا سنة ١٨٢٠ فقال

”قامت هذه المطبعة بأكبر خدمة للغة العربيّة والآداب الشرقية فانها اصبحت في مصر وفي بلاد المشرق كلهِ واسطة لتعميم ثمرات التقدم الحديث ونشر لواء الحضارة العصرية . اذ تيسر لنا بسببها ان نشترك في الحركة العظيمة التي ارتقت بها الافكار والمعارف في ديار اوروبا . وما زال المرحوم محمد علي الخالد الآثار في هذه الديار يبالغ في العناية بشأن هذه المطبعة ويواليها باهتمامهِ الفائق حتى انها منذ انشائها ضارعت اعظم المطابع في عصرها بل فاقت عليها كلها بجمال مطبوعاتها وكثرة اعمالها . ولكنها بعد هذه النشأة المجيدة وبعد توالي نجاحها الظاهر الباهر وقفت في طريقها بل انحطت عن المكانة السامية التي بلغتها في ايام محمد علي

”بقيت مطبعة بولاق منذ تأسيسها الى سنة ١٨٨٠ قاصرة على الطباعة الشرقيّة فصارت في تلك السنة مختلطة بانضمام المطبوعات الافرنجية الى اعمالها وفي هذه الايام الاخيرة تمّ تجديد بنيانها على نظام جميل واستوفت كافة المعدّات الجديدة البالغة اعلى درجة من الاتقان والكمال . ولكن حروفها العربية التي اخنى عليها الزمان بقيت على حالتها العتيقة مع ما فيها من التعقيد والسقامة

” لا مُشاحّة في ان الطريقة التي روعيت في ابتكار الطباعة العربية تدعو الى صعوبات كثيرة منشأُها تعدد اشكال كل حرف من حروف الهجاء بحسب موقعهِ من الكلمة وضرورة تراكب بعض الحروف وتداخلها في بعضها

”وهذه الصعوبات تستوجب حتماً ان يكون عمل المطابع جسيماً لا تعادلهُ النتيجة التي

يؤدي اليها . وفي ذلك مالا يخفى من مخالفة قواعد الاقتصاد التي يجب التعويل عليها في ايامنا هذه في كل مشروع صناعي . فلهذه الاعتبارات اضطرَّت اكبر المطابع في اوروبا للبحث عن الدواء الوحيد المعقول الذي ينبغي استعمالهُ في مثل هذه الحالة ألا وهو تسهيل الطباعة العربية . فما زال اصحابها يواصلون السعي وراء هذه الغاية حتى لقد توصل بعضهم الى تخفيض عدد الحروف لدرجة يغبطون عليها . وكانت السابقة في هذا المضمار الى الآن مطبعة المدرسة الجامعة باكسفورد من بلاد الانكليز فانها تمكنت من اختصار الحروف الى ٢٨٢ فقط . اما مطبعة باريس الاهلية ( وعدد حروفها لا يقل عن ٨٠٠ حرف )ومطبعة بولاق ( بحروفها التي اوجدها محمد علي وعددها ٩٠٠ حرف ) فقد بقيت كلتاهما الى اليوم في معزل عن هذا التيار محرومتين من ثمرات ذاك التقدم والاختصار "

ثم قال ان اللجنة انتدبت اثنين من اعضائها وهما حضرة شيلو بك وحضرة احمد زكي بك ليدرسا في اشهر مطابع اوربا التقدم الذي وصلت اليهِ الى ان قال

"وكانت مأمورية حضرة احمد زكي بك متعلقة على الاخص بالنظر في اختصار صندوق الطباعة وتسهيل جمع الحروف . وقد توصل بعد البحث والتدقيق الى تقليل عدد الحروف اللازمة للطباعة الى ١١٢ بدلاً من ٢٨٢ المستعملة الآن في اكسفورد . ولزيادة الوثوق كلفتهُ اللجنة بعمل تجارب واختبارات يومية في مطبعة بولاق استمرت مدة ثلاثة شهور وكانت نتيجتها ناطقة بافصح بيان على ان الطريقة التي اختارها تكفي من كل وجه لجمع اي عبارة عربية او تركية او فارسية مهما كانت صعوباتها الخطية او المطبعية

"ثم قررت اللجنة ان تعهد عما قليل الى جماعة من مشاهير الخطاطين البارعين بكتابة الحروف تحت مراقبتها بحيث تجيءُ مطابقة من كل الوجوه لما تستدعيهِ صناعة الخط ومقتضيات الطباعة . وسيقع اختيارها على من يلزم من الخطاطين ليتعاونوا على هذا المشروع ويكملوهُ طبق المرام . واذا دعت الضرورة فان اللجنة لا تتأخر عن الاستعانة بمهارة النابغين من اهل الفنون في الديار الاجنبية لتتميم مقاصدها"

ويتلو ذلك مذكرة تفصيليَّة لحضرة زكي بك اشار فيها بالاقتصار على ١٣٢ حرفًا و٤٦ علامة بدل الحروف التسع مئة التي تستعمل في مطبعة بولاق . ولو عاني حضرتهُ الطباعة العربية لرأى انها لا تستغني عن بعض الحروف الممدودة مثل ں وک ویے حتى تكمل بها السطور الناقصة والاَّ اضطررنا احيانًا ان نقسم الكلمة الواحدة قسمين في آخر السطر كما يفعل الاوربيون . ولا بدَّ ايضاً من جمع الشدَّة مع الضمَّة وتنوين الضم ومع الفتحة وتنوين الفتح

ومن سبك الحروف والارقام العددية على درجات مختلفة من الارتفاع حتى يمكن ترتيب الصور الحسابيَّة والكميات الجبرية اذا اريد ابقاء علم الحساب والجبر في العربية . ولا بدَّ من تجويف كل الحروف التي ذكرها من طرفين او من الاطراف الاربعة حتى يمكن وضع الحركات فيها ولا بدَّ ايضاً من انواع مختلفة من الفروق فاذا تمَّ ذلك كلهُ زاد عدد الاشكال مئة او مئتين عما قدَّر لها عدا العلامات المستعملة في التعاليم

وقال ” ان اعتماد الطريقة الجديدة في مطبعة بولاق سيعود بفوائد كثيرة اقلها حصول وفر في المصنعيَّة نقول من الآن انهُ لا يقل عن ٢٥ في المئة “ . وفسر المصنعيَّة قبيل ذلك بانها ” اجرة الجمع والتوضيب والطباعة ونحو ذلك “ ” وانهُ يترتب عليها تعميم المعارف وترقية الافكار بسبب رخص اثمان الكتب “

والحقيقة ان اجرة ترتيب الحروف وتفريقها لا تزيد على ٢٠ في المئة من نفقات طبع الكتب اذا كان المطبوع منها من الف الى الفي نسخة كما هي الحال الآن واذا زاد المطبوع حتى بلغ خمسة آلاف نسخة الى عشرة آلاف كما ننتظر اذا انتشرت المعارف نقصت نسبة اجرة ترتيب الحروف وتفريقها الى نفقات الطبع كلها وصارت عشرة في المئة او خمسة في المئة فاذا كان الوفر ٢٥ في المئة في ترتيب الحروف وتفريقها ( ولا يكون في غيرهما ) لم يزد هذا الوفر على اثنين في المئة من نفقات طبع الكتب

وحبذا الوقت الذي يصير فيهِ للاثنين في المئة من نفقات طبع الكتب شأن يذكر حتى تعم بهِ المعارف وتترقي الافكار . اما الآن فان اكثر الكتب التي تطبع تأكلها الجرذان ومع ذلك فان الاصلاح الذي اشارت بهِ اللجنة يصلح مطبعة بولاق حتماً ولو لم تنق بهِ بعض مطابع العاصمة ولا بلغت بهِ مطابع بيروت

وقد قدَّمنا في فاتحة هذه المقالة ان الارتقاء الجزئي التدريجي لا يغني عن الارتقاء الكلي الفجائي بل ان الاول قد يؤخر الثاني او يحول دونهُ سنَّة طبيعيَّة لا مردَّ لها وهي تتمشَّى على حروف الطباعة كما تتمشَّى على غيرها . ولا يخفى ان الغاية التي يرمي اليها طالبو الاصلاح والارتقاء هي ابعد من ان يُجعَل حرف الجيم وحرف الميم امام اللام لا تحتها . هي ان نجعل حروف الطباعة منفصلة بعضها عن بعض كحروف الطباعة في اللغات الاوربية او ان نترك الحروف العربية ونقتبس الحروف الاوربية دفعةً واحدة كما ترك اسلافنا الحرف الكوفي وكتبوا بالحرف النسخي . فان كانت الحكومة المصرية تنوي حقيقة ان تُصلح اصلاحاً كبيراً وتنفق عليهِ النفقات التي لا يستطيعها الفرد من افراد الامة فلتفعل ذلك دفعةً واحدة والاَّ فهذا الترقيع لا يغني ولا يشبع

بل يؤخر الاصلاح الحقيقي او يحول دونهُ . وقد فعلت الحكومة المصرية مثل ذلك لما ادخلت سكك الحديد والتلغراف والمحاكم الاهلية الى بلادها لانها لو حاولت اصلاح ما كان عندها حتى يصير مثل ما ادخلتهُ لقضت الاعوام الكثيرة من غير ان تدرك الغرض المقصود

هذا ونكرر الشكر لحضرات اعضاء اللجنة الكرام على الهمة التي بذلوها والمشقة التي كابدوها حتى قرُّوا على ما قرُّوا عليهِ من الاصلاح وحبذا لو كان رأْيهم مثل رأْينا وهو الاصلاح الكلي دفعةً واحدة فاننا نرجح انهم لو اشاروا على الحكومة بذلك لتبعت مشورتهم وعملت بها فافادت بلادها فائدة لا تقدَّر

# السكة الهوائية

قلنا في المقالة السابقة ان الارتقاء الجزئي قد يحول دون الارتقاء الكلي ولم يخطر لنا حين كتابة تلك الكلمات ان نعود الى موضوعها في هذه النبذة فان الترامواي الكهربائي الذي شاع في هذه العاصمة وفي الاسكندريَّة فاتلف شوارعهما وقتل كثيرين من عابري السبيل كان يمكن ان ينشأَ ما هو اصلح منهُ كثيرًا لو تأَخر انشاؤُهُ الى الآن فقد رأَينا صورة ترامواي كهربائي ينشأُ في المانيا بين مدينة بارمن ومدينة البرفلد خطوطهُ ممدودة في الهواء قائمة على دعائم من الحديد كقوائم القناديل التي تكون في الشوارع والمركبات تجري على هذه الخطوط مدلاَّة منها فلا تزدحم بها الشوارع ولا تدوس احدًا في سيرها ولا يقع منها نار ورماد كما يقع من المركبات البخاريَّة المعلقة في اميركا لانها لا تسير بالبخار بل بالكهربائية. ولا خطر من انقطاع اسلاكها ووقوعها على الناس والبهائم لانها لا تعلَّق بالاسلاك بل بقضبان من الحديد متصلة بعوارض متينة جدًّا . وتعلو المركبات عن ارض الشارع خمسة امتار فقط فيسهل الصعود اليها من المحطات بسلَّم قصيرة ولا تعيق المارَّة في سيرها ولو كانت جمالاً محمَّلة

وطول المركبة من هذه المركبات ١٢ مترًا وعرضها متران وتسع خمسين نفسًا وفيها محرّك كهربائي قوتهُ ٣٦ حصانًا يأْخذ الكهربائية من قضبان الحديد المتصلة بهِ. والمسافة من مدينة بارمن الى مدينة البرفلد ثمانية اميال وربع وسير المركبات المعلقة بينهما على غاية السهولة فقد وُضعت فيها آنية مملوءة ماءً وهي سائرة فلم ينصبَّ شيءٌ من مائها

فاذا ارادت مدن هذا القطر ان تستعمل الترامواي الكهربائي او غيرهُ من وسائل النقل فلتنظر اولاً في هذا النوع من الترامواي لانهُ اصلح ما صُنع حتى الآن

# طبائع الغربان

يقول الذين ربُّوا الغراب وعلَّموهُ النطق ان جعبة حيلهِ لا تنفد ومهارتهُ في تقليد اصوات الناس تفوق مهارة الببغاء . وهو يتعلَّم دواماً ممَّا يراهُ ويسمعهُ ويمرّن نفسهُ على ما يتعلمهُ حتى يتقنهُ ولا ينساهُ. وصوتهُ مثل صوت الناس حتى لقد يلتبس بهِ . روى بعضهم ان غراباً تعلَّم الجمل التي تقال في التعليم العسكري وكان يمشي مع الضابط صاحبهِ ويشاركهُ في تعليم الجنود او يكرر ما يقولهُ حرفاً حرفاً حتى كان الجنود يحسبون صوتهُ صوت ضابطهم ويأتمرون بهِ

والغراب ودود الوف يقيم الزوج مع زوجهِ مدى العمر لا طلاق ولا ضرار بخلاف اكثر الطيور. وقد يتودَّد الى غير نوعهِ تودُّداً غير مفصوم العرى . روى بعضهم ان غراباً انثى عمَّرت ستين عاماً وعاشت اكثر هذا العمر مع قنفذة عمياء ثم أُعطيت لرجل من المعتنين بدرس طبائع الطير فافتقدت القنفذة ولم تتعزَّ عن فقدها الى ان أُتيت بطائر اليف من طيور البحر فانست بهِ وكانت اذا قُدّم اليها طعامها من اللحم تطمر بعضهُ في الارض حتى تأكلهُ اذا جاعت فلما انست بطائر البحر صارت تضيفهُ على هذا اللحم ولو كان منتناً وهو يتقزَّز منهُ ثم يضطر الى اكلهِ بسبب لجاجتها حتى فسد هضمهُ وساءت صحتهُ واعتراهُ المرض. فحسبت ان واجب الصداقة يقضي عليها بان تحرم نفسها من لحمها المنتن وتطعمهُ اياهُ فزاد مرضهُ مرضاً ولا غرابة في ذلك لانهُ لم يعتد اكل الجيَف مثل الغربان فامتنع عن الاكل بتاتاً ولما رأت منهُ ذلك يئست من سلامتهِ ولم تشأ ان تطول ايام بلواهُ فعجَّلت عليهِ قتلتهُ ومزقت لحمهُ واكلت نصفهُ وطمرت النصف الثاني كأَنها حسبت غاية الحب ان تمزج جسمهُ بجسمها . كما ان بعض الحيوانات تأكل صغارها اذا خافت عليها من الاعداء ولم تجد سبيلاً لنجاتها. وظلت هذه الغراب حيَّة حتى صار عمرها سبعين سنة وبنت حينئذٍ عشًّا على الارض وباضت فيهِ ثم اكلت بيضها

والشائع ان الغربان تسرق الحلى وهذا صحيح لانها تخطف كل شيءٍ لامع وتذهب بهِ الى عشها او مخبإها. روي ان طباخاً كان يرى ملاعقهُ تقلُّ يوماً بعد يوم وهي من الفضة الصقيلة فراقبها يوماً واذا بغراب اتى خلسةً وخطف ملعقةً منها ومضى بها الى وكر فتبعهُ اليهِ فوجد فيهِ الملاعق المفقودة وغيرها ممَّا خطفهُ الغراب من بيوت الجيران

وقال المستر بوزورث سمث الذي اعتمدنا عليهِ في نقل كثير ممَّا تقدَّم انهُ كان عندهُ غراب اليف كثير الاذى لا ينجو حيوان من شرهِ لقي منهُ الحمام والدجاج والبط الامرَّين وكان يهاب الديوك الاَّ اذا وقفت تتهارش فانهُ يأمن شرها حينئذٍ ويهجم عليها ويعمل منقارهُ في اذنابها

ثم ينعق نعيق الظافر المسرور وكان لهُ مخابئ كثيرة في اماكن مختلفة يخبئ فيها العيدان والازرار والمسامير والكشاتبين والنقود . وبعض هذه المخابئ لم يُكشف الاَّ بعد موتهِ وجدها غراب آخر قام مقامهُ فاستولى على تركتهِ كأَنهُ الوريث الشرعي لهُ . وكان الغراب الاول لصًّا من الطبقة الاولى اذا رأَى بستانيًّا يزرع بزرة ويهتم بطمرها واخفائها رصد لهُ الى ان يبعد عنها ثم اتى واحتفرها واكلها اواخذها الى وكرهِ . واذا رأَى فلاحًا اعتنى بزرع بعض الحبوب غافلهُ واستخرجها وجمعها في حفرة واحدة . واذا رأَى واحدًا من المتأَنقين وقع كفٌّ من يدهِ خطفهُ وهرب بهِ ومزقهُ تمزيقًا كأَنهُ يؤَنب الرجال على لبس الكفوف كالنساء

لا يخلو بلد من رجل ظريف او مهرّج يُضحِك الناس او يضحكون عليهِ وكان في البلد الذي فيهِ هذا الغراب رجل من هذا القبيل فكان الغراب يعرفهُ ويتبعهُ وينقر ساقيهِ كأَنهُ يداعبهُ . وكان هذا شأْنهُ كلما وجد ولدًا او رجلاً سخيف العقل فانهُ كان يتبعهُ ويحتال عليهِ كأَنهُ من اترابهِ او ممَّن تجوز عليهم حيَل الغربان . ولم يكن يعبأُ بالبرد ولا بالمطر والثلج بل كثيرًا ما كان يتمرَّغ في الثلج كما تتمرَّغ الدواب في التراب . وقضى نحبهُ غرقًا فانهُ وقع في برميل فيهِ من العقار الذي تدهن بهِ الخنازير فتعذَّرت عليهِ النجاة

وقال المستر سمث ايضًا انهُ اقتنى غرابًا آخر ولم يكن حيث يستطيع ان يطلق سبيلهُ فوضعهُ في قفص كبير فمُنع عن الاذى ولكن اتسع لهُ مجال النطق فتعلَّم كثيرًا من الكلمات والجمل التي كان يسمعها وصار يتلوها على اساليب شتَّى بين ترخيم الصوت وتخشينهِ وكان يقلِّد الناس في ضحكهم . قال المستر سمث وأُصبت بسعال شديد فصار يسعل مثلي حتى كان المارُّون يظنون انهُ سعال البستاني ويلومونني لانني اتركهُ مصابًا بهذا السعال ولا اداويهِ . وكان ماهرًا في تلقي ما يرمى اليهِ فاذا رماهُ الاولاد بالاثمار الصغيرة امسكها كلها من الهواء من غير ان تقع واحدة منها . واذا اطعمتهُ اشياء كثيرة دفعةً واحدة اخذها كلها منك غير متمهل واخفاها في فكهِ الاسفل حتى يبرز كالجراب ثم ينظر اليك مستفهمًا كأَنهُ يقول احزر اين وضعتها ثم يخرجها من جرابهِ ويخفيها في اماكن اخرى في قفصهِ تحت الرمل او تحت الحجارة ويستخرجها ويخفيها مرة اخرى كما يفعل الاولاد وهم يلعبون . واذا تُرِك مفتاح قفصهِ في الباب سهوًا خطفهُ واخفاهُ ووقف ينظر الى حيرتك وانت تفتش عنهُ

والناس على طرفي نقيض من حيث آرائهم في الغراب فبعضهم يكرمهُ اكرامًا دينيًّا ويفضلهُ على الطيور اجمع وبعضهم يقول انهُ اشأَم الطيور واقبحها . فكان الرومانيون يقولون انهُ اذا طار عن يسار انسان انبأَ بالشر وجلبهُ عليهِ واذا طار فوق بيت فلا بدَّ من ان يموت واحد

فيهِ . وانهُ يسبق المقاتلين الى دار الحرب ينتظر وقوع القتلى واذا وقع بهِ اذى انتقم ممَّن اذاهُ ولو بعد موتهِ . ويقول اهالي اسوج ان الغربان التي تنعق في المستنقعات ليلاً هي ارواح القتلى الذين قُتلوا غيلة ولذلك حمي الغراب من الاذى في كثير من البلدان الشمالية . لكن بعض الذين لا يستجلون قتلهُ رمياً بالرصاص يطرحون لهُ البيض المسموم بالاستركنين حتى يأكلهُ ويموت سمًّا زاعمين انهم لم يقتلوهُ بل هو قتل نفسهُ . وكثيرون من الانكليز يعتقدون ان نجاحهم في الدنيا نتج عن حمايتهم لغراب عشش في بستانهم وانهُ اذا قتل قصداً فلا بدَّ من ان يموت واحد من العائلة على اثر ذلك

ويقال ان الغراب يعمّر مئة سنة الى ثلثمئة . هذا كان رأي الاقدمين مثل بلينيوس وشيشرون وارستوفانيس وهوراشيوس واوفيد واوسونيوس. والظاهر انهُ لا يخلو من الصحة فقد تقدَّم ان غراباً اهليًّا عمَّر سبعين عاماً

هذه خلاصة ما قالهُ المتكلمون في طبائع الحيوان من الاوربيين اما العرب فقال الجاحظ شيخهم انهم يسمون الغراب ابن داية لانهُ اذا وجد دبرة اي قرحة في ظهر البعير سقط عليها ونقرهُ وعقرهُ حتى يبلغ الدايات ومنهُ قول عنترة

فلو كنت معذوراً بنصرك طيَّرت    صقوري غربان البعير المقيَّدِ

ضرب ذلك مثلاً للبعير ذي الدبر اذا وقعت عليهِ الغربان . واذا كان في ظهر البعير دبرة غرزوا في سنامهِ اما قوادم نسر اسود واما خرقة سوداء لتفزع الغربان منهُ ولا تسقط عليهِ. قال الشاعر

كأَنها ريشة في غارب جرب    في حيثما ضربتها الريح ينصرفُ

ويقال ارض لا يطير غرابها اي خصيبة حتى بلغ من خصبها انهُ اذا دخلها الغراب لم يخرج منها لان كل شيءٍ يريدهُ فيها قال النابغة

ولرهط صوات وقرّ سورة    في المجد ليس غرابها بمطار

ويقال وجد فلان ثمرة الغراب كأَنهُ يتبع اطيب الثمر . وقالوا ان الغراب ينقر العيون وفي ذلك يقول الشاعر

اتوعد اسرتي وتركت حجراً    يريغ سواد عينيهِ الغراب

وان كل غراب يقال لهُ غراب البين اذا ارادوا بهِ الشؤم لسقوطهِ في مواضع منازلهم اذا بانوا ( اي بعدوا ) عنها

ويقال نعق الغراب نغيقاً ونعب نعيباً فاذا مرَّت عليهِ السنون الكثيرة وغلظ صوتهُ قيل شحج شحيجاً وقال ذو الرمَّة

ومُستَشْحجات بالفراق كأنهـا    مثاكيل من صيابة النوب نوَّحُ

والنوب اهل النوبة

وعلل الحاحظ تطيُّر العرب من الغراب بقولهِ " واصل التطيُّر انما كان من الطير اذا مرَّ بارحًا او سانحًا ( اي عن اليمين او عن اليسار ) او رآهُ المتطير يتفلَّى او ينتتف ثم صاروا اذا عاينوا الاعور من الناس او البهائم او الاعضب او الابتر زجروا عند ذلك وتطيروا كما تطيروا من الطير فكان زجر الطير هو الاصل منهُ اشتقوا التطيُّر ثم استعملوا ذلك في كل شيءٍ . والغراب لسوادهِ ان كان اسود ولاختلاف لونهِ ان كان ابقع ولانهُ غريب يقطع اليهم ولانهُ لا يوجد في موضع خيامهم يتقمم الاَّ عند مباينتهم لمساكنهم ومزايلتهم لدورهم ولانهُ ليس شيءٌ من الطير اشد على ذوات الدبَر من ابلهم من الغربان ولانهُ حديد البصر قالوا عند خوفهم من عينيهِ الاعور كما قالوا غرابًا لاغترابهِ وغراب ابي لانهُ عند بينونتهم يوجد في دورهم

قال ولايمان العرب بباب الطيرة عقدوا الرتائم وعشَّروا ( اي نهقوا عشر مرات ) اذا دخلوا القرى تعشير الحمار . والغراب اكثر من جميع ما يتطيَّر بهِ في باب الشؤْم . لكنهم لم يكونوا في ذلك سواءً بل نفى بعضهم التطيُّر قال سلامة بن جندل

ومن تعرَّض للغربان يزجرها    على سلامتهِ لا بدَّ مشؤُوم

وقال غيرهُ

يا ايها المزمع ثمَّ انثنى    لا يثنِك الحادي ولا الشاحجُ
بين الفتى يسعى ويُسعَى لهُ    تاح لهُ من امرهِ ذائجُ

وزعم الاصمعي ان النابغة خرج مع زبان بن يسار يريدان الغزو فبينما هما يريدان الرحلة اذ نظر النابغة واذا على ثوبهِ جرادة فتطيَّر فلما رجع زبان من تلك الغزوة سالمًا غانمًا قال

تخبر طيرةً فيهـا زيادٌ    لتخبرهُ وما فيهـا خبيرُ
اقام كأن لقمان بن عاد    اشار لهُ بحكمتهِ مشيرُ
تعـلم انهُ لا طير الاَّ    على متطير وهو الثبـورُ
بلى شيءٌ يوافق بعض شيءٍ    واحيانًا وباطلهُ كثيرُ

وكان زبان هذا من دهاة العرب وساداتهم فقال ان الذي يجدونهُ انما هو شيءٌ من طريق الاتفاق

وقال الجاحظ اخبرني ابو اسحق ابرهيم بن سيَّار النظام قال جعتُ حتى اكلت الطين وما صرت كذلك حتى قلَّبت قلبي اتذكر هل من رجل اصيب عندهُ غداءً او عشاءً فما قدرت

عليهِ وكان عليَّ جبة وقميصان فنزعت القميص الاسفل فبعتهُ بدريهمات وقصدت الى فرضة الاهواز اريد قصبة الاهواز وما اعرف بها احدًا وما كان ذلك الاَّ شيئًا اخرجهُ الضجر وبعض التعرُّض . فوافيت الفرضة فلم أُصِب فيها سفينة فتطيَّرتُ من ذلك ثم رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم فتطيرت من ذلك ايضاً واذا فيها حمولة فقلت للملاح تحملني قال نعم قلت ما اسمك قال داود وهو بالفارسيَّة الشيطان فتطيَّرت من ذلك . ثم ركبت معهُ تضنك الشمال وجهي وينشر الليل الصقيع على رأسي فلما قربنا من الفرضة صحت يا حمَّال ومعي لحاف سمل ومضربة خَلَق وبعض ما لا بُدَّ لمثلي منهُ فكان اول حمال اجابني اعور فقلت لبقار كان واقفاً بكم تكري ثورك هذا الى الخان فلما ادناهُ من متاعي اذا الثور اعضب (مكسور القرن) فازددتُ طيرةً الى طيرة فقلت في نفسي الرجوع اسلم لي ثم ذكرت حاجتي الى اكل الطين فقلت ومن لي بالموت فلما صرت بالخان وانا جالس فيهِ ومتاعي بين يديَّ وانا اقول ان انا خلَّفتهُ في الخان وليس عندهُ من يحفظهُ فُشَّ الباب وسُرِق وان جلستُ احفظهُ لم يكن لمجيئي الى الاهواز وجه. فبينا انا جالس اذ سمعت قرع الباب قلتُ من هذا عافاك الله . قال رجل يريدك . قلت ومن انا. قال انت ابرهيم . فقلت ومن ابرهيم . قال النظام. قلت هذا خنَّاق او عدو او رسول سلطان. ثم اني تحاملت وفتحت الباب فقال " ارسلني اليك ابرهيم بن عبد العزيز يقول نحن وان كنا اختلفنا في بعض المقالة فانَّا قد نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق الحريَّة وقد رأيتك حين مررت على حال كرهتها منك وما خبَّرني عنك الاَّ بعض من كان معي وقال ينبغي ان يكون قد نزعتهُ حاجة فان شئتَ فاقمْ بمكانك شهرًا او شهرين فعسى ان نبعث اليك ببعض مايكفيك زمنًا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون مثقالاً فخذها وانصرف وانت احقُّ من عذر " . فهجم والله عليَّ امرٌ كاد ينقضني اما واحدة فاني لم اكن ملكت قبل ذلك ثلاثين دينارًا في جميع دهري والثانية انهُ لم يطل مقامي ولا غيبتي عن وطني وعن اصحابي الذين هم على حالٍ اشكل بي. والثالثة ما تبيَّن لي من ان الطيرة باطلة وذلك انهُ قد تتابع عليَّ منها ضروب والواحدة منها كانت عندهم معطبة

الاَّ ان جمهور العرب كان يعتقد الطيرة مثل اليونان والرومان قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى قال ابو الفرج المعافي بن زكريا في كتاب الجليس والانيس كنا نجلس في حضرة القاضي ابي الحسن فجئنا على العادة فجلسنا عند بابهِ واذا اعرابي جالس كانت لهُ حاجة اذ وقع غراب على نخلة في الدار فصرخ ثم طار فقال الاعرابي ان هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام . قال فزجرناهُ فقام وانصرف . ثم خرج الاذن من القاضي

الينا فدخلنا فوجدناهُ متغير اللون مغتمًّا فقلنا لهُ ما الخبر قال رأَيت البارحة في النوم شخصًا يقول

منازل آل عبَّاد بن زيدٍ    على اهليكِ والنعمِ السلامُ

وقد ضاق صدري لذلك . فدعونا لهُ وانصرفنا فلما كان في اليوم السابع من ذلك اليوم دُفِن . قال القاضي ابو الطيب الطبري سمعتُ هذه الحكاية من لفظ شيخنا ابي الفرج المذكور

وقال يعقوب بن السكيت كان اميَّة بن ابي الصلت في بعض الايام يشرب فجاء غراب فنعب نعبةً فقال لهُ امية بفيك التراب ثم نعب اخرى فقال لهُ اميَّة بفيك التراب ثم اقبل على اصحابهِ فقال اتدرون ما يقول هذا الغراب زعم اني اشرب هذه الكاس فاموت وامارة ذلك انهُ يذهب الى هذا الكوم فيبتلع عظمًا فيموت . قال فذهب الغراب الى الكوم فابتلع عظمًا فمات ثم شرب اميَّة الكاس فمات من حينهِ

والحكايتان من اقاصيص العرب وامية بن ابي الصلت شاعر مسيحي مشهور من فحول شعراء الجاهلية ويقال انهُ مرض قبل موتهِ وسُمع يقول

ان تغفر اللهمَّ فاغفر جمًّا    واي عبدٍ لك لا المًّا

ثم قال

كل عيش وان تطاول دهرًا    منتهى امرهِ الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي    في رؤوس الجبال ارعى الوعولا
إجعلِ الموت نصب عينيك واحذرْ    غَولة الدهر ان للدهر غُولا

وقال الجاحظ وبالبصرة من شان الغربان ضروب من العجب لو كان ذلك بمصر او ببعض الشامات لكان عندهم من اجود الطلسم وذلك ان الغربان تقطع الينا في الخريف فترى النخل ونصفها مصرومة ( اي مقطوعة عناقيدها ) وعلى كل نخلة عدد كثير من الغربان وليس منها شيء يقرب نخلة واحدة من النخل الذي لم يُصرَم ولو لم يبقَ عليها الَّا عذق ( عنقود ) واحد . وترى على كل نخلة مصرومة الغربان الكثيرة ولا ترى على التي تليها غرابًا واحدًا حتى اذا صرموا ما عليها تسابقت الغربان الى ما سقط من التمر في جوف الليف واصول الكرب تستخرجهُ كما يستخرج الشاك الشوكة

ومنقار الغراب معول وهو شديد النقر يصل الى الكمأة المدفونة في الارض بنقرة واحدة وهو ابصر بمواضع الكمأة من اعرابي يطلبها . والاعرابي يحتاج الى ان يرى ما فوقها من الارض فيهِ بعض الانتفاخ والانصداع وما يحتاج الغراب الى دليل

والغربان تسقط في الصحاري تلتمس الطعم ولا تزال كذلك فاذا غابت الشمس نهضت الى

اوكارها معاً وقلما تختلط البقْع بالسود . ومنها اجناس كثيرة عظام كامثال الحداِ السود ومنها صغار وفي مناقيرها اختلاف في الالوان والصور . ومنها غربان تحكي كل شيءٍ سمعتهُ حتى انها في ذلك اعجب من الببغاء . وما اكثر ما يختلف ( يتردد ) منها عندنا في البصرة في الصيف فاذا جاء القيظ قلَّت جدًّا واكثر المختلفات من البُقْع فاذا جاء الخريف رجعت الى البساتين لتنال مِمَّا يسقط من التمر في كرب النخل وفي الارض ولا تقرب النخلة اذا كان عليها عذق واحد . واكثر هذه الغربان سود ولا تكاد ترى فيهنَّ البُقْع . انتهى كلام الجاحظ . ولم نتحقق ما ذكرهُ من امر الغربان والنخل فان كان احد من القراء يعلم ما يثبتهُ او ينفيهِ فليتحفنا بهِ

وقال القزويني في كتابهِ عجائب المخلوقات " الغراب طائر كثير الاسفار بعيد التطواف اول ما يطير يسرع الطيران بعد ابتلاج الفجر يحبُّ الجوز يجمع منهُ كثيرًا فيدفن للذخيرة ويجتمع على كل الحيوانات الكبار بالبادية كالجمل والفرس وكذا الآدمي ويقصد قلع عينيها ولا يمتنع بالدفع والضرب لشدَّة جوعهِ . وينقر ظهر السلحفاة فيأْكلها . والبعير اذا عقِر وحدث في ظهرهِ لحم ميت فلا بدَّ من اخذ اللحم الميت من ظهرهِ فيرسلونهُ الى الصحراء لتجتمع عليهِ الغربان وتقلع اللحم الميت من ظهرهِ . وقال خلَف الاحمر رأَيت فرخ الغراب فلم ارَ صورةً اقبح منهُ ولا اقذر ولا انتن رأَيتُ رأْساً كبيرًا ومنقارًا طويلاً وذلك مع صغر البدن وقصر الجناح وهو امرط منتن الريح . ومن الغربان ما يأْتي بالفاظ فصيحة افصح من الببغاء"

وزاد الدميري في حياة الحيوان الكبرى في مشي الغراب قول الشاعر

" ان الغراب وكان يمشي مشية    فيما مضى من سالف الاجيالِ
حسد القطاة ورام يمشي مشيها    فاصابهُ ضرب من العُقَّالِ
فاضلَّ مشيتهُ واخطأَ مشيها    فلذاك سموهُ ابا المرقالِ

" وهو اصناف الغداف والزاغ والاكحل وغراب الزرع والاورق ( اي الرمادي ) وهذا الصنف يحكي جميع ما يسمعهُ . والغراب الاعصم عزيز الوجود قالت العرب اعزُّ من الغراب الاعصم اي الاحمر المنقار والرجلين وغراب الليل وهو غراب ترك اخلاق الغربان وتشبهً باخلاق البوم وقال ارسطوطاليس في النعوت الغربان اربعة اجناس اسود حالك وابلق ومطرف ببياض لطيف الجرم يأْكل الحب واسود طاووسي برَّاق الريش ورجلاهُ كلون المرجان يعرف بالزاغ . وفيهِ حذر شديد وتنافر . والغداف يقاتل البوم ويخطف بيضها ويأْكلهُ " . ويلي ذلك كلام كثير منقول اكثرهُ عن الجاحظ

هذا ما عنَّ لنا جمعهُ من اوصاف هذا الطائر وقد اقتصرنا على ما تلذ مطالعتهُ

# خرائب الشام

## مدينة بيسان

نستغفر الله ليست مدينةً بل قريةٌ حقيرة ولو كانت في سالف عهدها عاصمة المدائن العشر ( ديكابوليس ) يسكنها الآن جالية مصرية اتى بها اليها ابرهيم باشا سنة ١٨٤٠ . وهي مدينة بيت شان التي حمل اليها الفلسطينيون اجساد الملك شاول وبنيهِ بعد ان قتلوهم في واقعة جلبوع على ماهو مذكور في التوراة وارسلوا رأسهُ الى هيكل داجون وسلاحهُ الى هيكل عشتاروث

وسميت هذه المدينة سكيثوبوليس اي مدينة السكيثيين لان قبائلهم سكنتها لما نزلت على بلاد الشام ومصر في اواخر القرن السابع قبل المسيح. والاسم يوناني كما لا يخفى اطلقهُ عليها اليونان بعد ان تغلَّب الاسكندر على بلاد المشرق اما لانهم وجدوا السكيثيين فيها او لانهم وجدوا حولها اقواماً رحَّلاً كالسكيثيين فسموها بما معناهُ مدينة الاقوام الرحَّل . ولم تكن من مدن اليهود في عهد يهوذا المقابي مع ان اليهود كانوا كثارًا فيها

وتغلَّب القائد بمبايوس الروماني عليها وهو ذاهب من دمشق الى اورشليم ثم اعاد اهاليها اليها بعد فتحهِ اورشليم وجعلها من المدن الحرَّة . ولما اوقع الرومانيون بيهود قيصارية وذبحوهم قام اليهود وهجموا على بيسان لينتقموا من اليونانيين سكانها فانضم اليهود الذين فيها الى اليونانيين وغيرهم من السكان وحاربوا اليهود الهاجمين عليها وابدوا من الحماسة والشجاعة في محاربة اخوانهم ما جعل باقي السكان يسيئون الظن بهم على ما رواهُ يوسيفوس فطلبوا منهم ان يتنحَّوا عن المدينة الى غاب خارجها فخرجوا اليهِ هم وعيالهم الاَّ ان اهل المدينة غدروا بهم وبيتوهم وقتلوا منهم ثلاثة عشر الف نفس . فما قولك بمدينة يقتل من فريق صغير من اهلها ثلاثة عشر الف نفس وكان ذلك سنة ٦٥ للمسيح

واطلق عليها الرومانيون اسم مدينة القصور لكثرة قصورها ومبانيها الفخيمة وكانت لا تزال في عزها في اوائل القرن الرابع بعد المسيح وقد ذكرها يوسيبيوس وايرونيموس وقالا انها كانت مدينة عظيمة . وحضر مطرانها المجمع الذي عقد في فلسطين سنة ٣١٨ والمجمع النيقاوي الاول الذي عقد سنة ٣٢٥ . وناب نائب عن رهبانها في المجمع القسطنطيني الذي عقد سنة ٥٣٦ وفيها ولد باسيليدس زعيم طائفة الغنسطيين المصرية وكيرلُّس بطريرك الاسكندرية الذي قُتلت في عهده هباشيا العالمة الوثنيَّة

ولما فتح العرب دمشق ارسل ابو عبيدة شرحبل وجنودهُ الى بيسان فقاتلوا اهلها وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ثم صالحهم من بقي على صلح دمشق . ولا يذكر اسم هذه المدينة بعد ذلك الاَّ نادراً فانها انحطت عن عظمتها الاولى بعد فتوح الشام ولم تزل تنحط حتى الآن . ويمر فيها جدولان يقسمان خرائبها الى ثلاثة اقسام القسم الجنوبي حيث قرية بيسان الحالية والميدان والملعب واثار اسوار قديمة والقسم المتوسط وفيهِ اكمة كان فيها الحصن الذي عُلق عليهِ رأس شاول ورؤُوس ابنائهِ والقسم الشمالي وفيهِ آثار كنيسة فخيمة وحمامات وحصون وحول الاقسام الثلاثة آثار السور القديم

والميدان او المشهد مطمور كلهُ تقريباً الآن وقد كان طولهُ من الشرق الى الغرب ٢٨٠ قدماً وعرضهُ من الشمال الى الجنوب ١٥٢ وهو بناء مستطيل مستدير الطرفين جدرانهُ من الحجارة السود الصلبة ومقاعدهُ من الرخام الابيض

والملعب شمالي الميدان وهو يزيد على نصف دائرة قطرها ١٨٠ قدماً وهناك استشهد كثيرون من المسيحيين في عهد يوليان المرتد . ولا تزال العرُن التي كانت توضع فيها الضواري حتى الآن . وكان فيهِ نقر بيضيَّة الشكل توضع فيها انابيب من النحاس لتقوية الصوت . وبناء الملعب مثل بناء المشهد من الحجارة السود ومقاعدهُ من الرخام الابيض وتحتها عقود من الحجارة السوداء ولذلك يسمَّى بالعقد

وجنوبي الملعب جامع الاربعين فوق محرابهِ كتابة يقال فيها انهُ بني سنة ٨٠٦ للهجرة وقد كان كنيسة قديمة فحوّلت جامعاً

وفي المدينة اكمة طبيعيَّة يقال لها تل الحصن تطلُّ على البلاد المجاورة هناك بنى الصليبيون القلعة المسماة بقلعة الربوض وتحتها آثار سور كبير كان يحيط بالتل

وكان بعض البستانيين يحفرون في ما يسمَّى ببستان السلطان فعثروا على آثار كنيسة فيها سبعة وعشرون عموداً بتيجانها وقواعدها وهي من الشكل الكورنثي وكلها من الرخام الابيض

وفتح الصليبيون بيسان وقالوا انها كانت كثيرة الخرائب في خرائبها كثير من الرخام وقاوم اهلها صلاح الدين سنة ١١٨٢ لكنهم هربوا منها في السنة التالية فنهبت وحرقت . وذكرها ابو الفداء فقال هي مدينة صغيرة بلا سور ذات بساتين وانهار وهي على الجانب الغربي من الغور وهي كثيرة الخصب ولها من جملة انهرها نهر صغير من عين تشق المدينة وبينها وبين طبرية ثمانية عشر ميلاً وهي في الجنوب عن طبرية

هذا ما بقي من عاصمة المدن العشر ومن مدينة من اكبر مدائن الشام

# منزلة الشعر من التاريخ

## ٥ً الزراعة

ومن اسباب المعاش عندهم الزراعة قال زهير بن ابي سلمى

فتغلل لكم ما لم تغلّ لاهلها    قرى بالعراقِ من قفيز ودرهمِ

ومنهُ نستدلُّ ان عرب العراق كانوا يتعاطون امور الزراعة على مثال ما ورد في شعر المتلمس "آليت حب العراق الدهر اطعمهُ" وقول امرىء القيس "كجرمة نخل او كجنَّة يثربِ" وقول خارجة بن ضرار المري "كمستبضع تمرًا الى ارض خيبرا". واوضح من هذا قول جرير بن عطية في هجاء الصلتان

اقول لعيني قد تحدَّر ماؤُها    متى كان حكم الله في كرب النخلِ

وقد اجابهُ الصلتان بقولهِ

تعيّرنا بالنخل والنخل مالنا    وودَّ ابوك الكلب لو كان ذا نخلِ

وقد ذُكرت اوائل الزراعة فمن ذلك المعول قال الحطيئة

ما كان ذنبيَ ان فلَّت معاولكم    من آل لايٍ صفاة اصلها راسِ

والمنجل قال عنترة العبسي "واظافرٍ يشبهن حد المنجلِ" وقال الاخطل

يخطر بالمنجل وسط الحقلِ    يوم الحصاد خطران الفحلِ

والمنجنون وهي آلة تديرها البقرة . قال المتلمس

هلمَّ اليهِ قد ايبشت زروعهُ    وعادت اليهِ المنجنون تكدّسُ

وايبشت نبتت وتأصلت وقد ذكر الزرع الاعشى بقولهِ

أَلم ترَ ان العرض اصبح بطنهُ    نخيلاً وزرعًا نابتًا وفصافصا (١)

وكانت اياد ذات اهتمام بالزرع وذلك يستنتج من قصيدة للقيط بن يعمر الايادي وكان كاتبًا في ديوان كسرى ارسلها الى قومهِ لما رأى صاحبهُ مجمعًا على غزو قومهِ منها

ابلغ ايادًا وغلّل في سراتهمِ    اني ارى الرأي ان لم أُعصَ قد نصعا

ابي اراكم وارضًا تعجبون بها    مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا(٢)

---

(١) الفصافص جمع فصفصة وهي نبات تعلفهُ الدواب تسمى بذلك ما دامت طيبة

(٢) الوعث ارض مسترخية رطبة والطبع صدأ يكثر على السيف والطبع ايضاً تدنس العرض وتلطخهُ استعارةً للغثاء

ألا تخافون قوماً لا ابالكمُ     أمسوا اليكم كامثال الدَّبى سرعا (٣)
لا الحرث يشغلهم بل لا يرَون لهم     من دون بيضتكم ريًّا ولا شبعا
وانتمُ تحرثون الارض عن سفه     في كل معتمرٍ تبغون مُزْدَرَعا

وممَّا يدلُّ على اشتغالهم بالزراعة قول عروة بن الورد

لست لمرَّة ان لم اوف مرقبة     يبدو لي الحرث منها والمقاضيبُ (٤)

وقول لبيد

اذا أروَوا بها زرعًا وقَضْبًا     اداروها على خورٍ طوالِ (٥)

وقول عوف بن مالك النضري

تعرَّض ضيطارو خزاعة دوننا     وما خير ضيطارٍ يقلّب مسطحا (٦)

وقول جندل بن المثني "يفرك حبَّ السنبل الكُنافجِ" (٧) وقول ابي ذؤَيب

وما حمّل البختيُّ عام غيارهِ     عليهِ الوسوقُ برُّها وشعيرها (٨)

وكان بعضهم يعلفون ركائبهم من الشعير قال الاعشى في صفة ناقتهِ

بناها الفواديُّ الرضيخ مع الخلا     وسقيي واطعامي الشعير بمحفدِ

وهذا ممَّا يدلُّ على غزارة وجودهِ غزارة لا يفي بها اجتلابهُ

وكانوا يتداولون الحبوب مكايلة قال الاخطل

والخبز كالعنبر الهندي عندهمُ     والقمح سبعون اردبًّا بدينارِ

وقال ابو جندب الهذلي

فلهف ابنة المجنون ان لا تصيبهُ     فتوفيهُ بالصاع كيلاً غُذارِما (٩)

وقال مزرّد

خلطتُ بصاع الأقط صاعين عجوة     الى صاع سمنٍ وسطهُ يتربَّعُ

وممَّا يستدلُّ على اشتغالهم بالزراعة عصرهم الزيت وبيعهُ . اما عصر الزيت فدليلهُ قول الفرزدق

ولكن ديافيٌّ ابوهُ وامهُ     بحوران يعصرن السليط اقاربه (١٠)

---

(٣) الدبى صغار الجراد     (٤) المقاضيب جمع مقضبة وهي منبت القضب
(٥) القضب الرطبة . والخور جمع خوارة وهي النخلة الكثيرة الحمل
(٦) الضيطار الضخم الذي لا غناء عندهُ والمسطح الخشبة المعرضة على دعامتي الكرم بالاطر
(٧) الكنافج المكتنز من السنابل     (٨) البخت الابل الخراسانية واحدها بختي
(٩) غذارم جزاف     (١٠) ديافي نسبة الى دياف من قرى الشام . والسليط الزيت

اما بيعهُ فدليلهُ قول ابن احمر الباهلي

لها رطل تكيل الزيت فيهِ    وفلاَّح يسوق بها الحمارا

ونعود الى بيت الفرزدق فقد قال صاحب خزانة الادب الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي اراد يعصرن الاشارة الى ان عصر الزيت عمل النساء خاصة لا عمل الرجال

واذا نظرنا بامعان وجدنا ان الطبابة والصياغة وتحصيل الذهب ونسج الثياب والبسط والحصير وعصر الزيت والبيع وغزل الصوف ورعاية الماشية والغناء مما احترفتهُ نساء العرب وكفى بذلك دليلاً على انهنَّ كنَّ عضوًا عاملاً في الهيئة المدنية عند العرب

## ٦ً الصيد

والصيد عند العرب ضربان ضرب لتحصيل المعاش وهو من ابحاثنا هنا وضرب من انواع اللهو عند الامراء . اما الاول وهو الصيد للتعيش فدليلهُ قول امرىء القيس

ربَّ رامٍ من بني ثعلٍ    متلج كفَّيه من قترهْ (١)
عارض زوراء من نشمٍ    غير بانات على وترهْ (٢)
قد اتتهُ الوحش واردة    فتنحى النزع في يسرهْ (٣)
فرماها في فرائصها    بازاء الحوض او عقرهْ (٤)
برهيش من كنانتهِ    كتلظّي الجمر في شررهْ ( )
راشهُ من ريش ناهضة    ثم امهاهُ على حجرهْ (٦)
فهو لا تنمي رميَّتهُ    مالهُ لاعُدَّ من نفرهْ (٧)
مطعم للصيد ليس لهُ    غيرها كسب على كبرهْ

وهذه الابيات في بابها غاية فقد ذكر مواقع الصيد وصفة الصياد الحاذق وكيفية الصيد ومن اي شيء تؤخذ القسي والسهام . وصرَّح باتخاذ الرماية مهنة للمعاش كل ذلك بايجاز غريب واما الصيد للهو بالكلاب فقد ذكر ذلك كثار من الشعراء كالنابغة في قصيدتهِ "يا دار مية بالعلياء فالسند" وكامرىء القيس في قصائدهِ "خليليَّ مرَّا بي على ام جندبِ" "والا

---

(١) متلج مدخل والقتر جمع قترة بيت الصائد الذي يكمن فيهِ للوحش

(٢) الزوراء قوس فيها اعوجاج والنشم شجر يعمل منهُ القسي والبانات هو الذي ينحني اذا رمى فيذهب سهمهُ على وجه الارض وذلك عيب    (٣) تنحى تحرف . يسر جمع يسرى

(٤) العقر مقام الشاربة    (٥) الرهيش سهم ضامر

(٦) الناهضة التي وفر جناحها وامهاه ارقهُ

(٧) انميتُ الصيدَ فنمى ينمي وذلك ان ترميهُ فتصيبهُ ويذهب عنك فيموت بعد ما يغيب

انعم صباحاً ايها الربع فانطقِ " و " أمن ذكر سلمى اذ نأتك تنوصُ " و " أعني على برق اراهُ وميضِ ". وهو اكثر الشعراء وصفاً للصيد والتصيد. وكذلك قد المّ زهير بن ابي سلمى بالصيد في قصيدتهِ " صحا القلب عن سلمى واقصر باطلهْ ". وذكر علقمة الفحل الصيد في قصيدتهِ " ذهبتِ من الهجران في كل مذهبِ ". ونكتفي بالاشارة الى هذه القصائد خوفاً من ملل القارىء الكريم

وممن اشتهر بالصيد رجلان يقال للاول ابن مرّ وللثاني ابن سنبس وكانا بارعين في تربية كلاب الصيد قال امروءُ القيس

فصبّحهُ عند الشروق غديّةً    كلاب ابن مرٍّ اوكلاب ابن سنبسِ

وكذلك كانوا يعرفون القنص بالطيور الجوارح . قال طرفة وهو عمرو بن العبد البكري في وصف القنص بالطيور في خلال ابيات هجا بها عمرو ابن هند اللخمي واخاهُ قابوساً

لعمرك ان قابوس ابن هند    ليخلط ملكهُ "حمق" كثيرُ
قسمت الدهر في زمن رخي    كذاك الحكم يقصداو يجورُ
لنا يوم وللكروان يوم    تطير البائسات ولا تطيرُ (٨)
فاما يومهنَّ فيوم سوءٍ    تطاردهنَّ بالحدب الصقورُ (٩)

وكانوا يتصيدون ( بالفخ ) ايضاً كما قال طرفة

يالكِ من قبّرة بمعمر    خلالكِ الجوُّ فبيضي واصفري
ونقّري ما شئت ان تنقِّري    قد رُفع الفخُّ فماذا تحذري
لا بدَّ من صيدك يوماً فاصبري

## ٧ً تربية النحل

وكان البعض يعنون بتربية النحل لاشتيار عسلهِ قال تميم ابن مقبل يصف نحلاً

كأنّ اصواتها من حيث تسمعها    صوت المحابض ينزعن المحارينا (١٠)

وقال الشنفرى

او الخشرم المبثوث حثحث دبرهُ    محابيض ارساهنَّ شارٍ معسّلِ (١)

---

(٨) الكروان طائر معروف وهو طويل العنق والرجلين اغبر لهُ صوت حسن

(٩) الحدب حدود في صبب والغلظ المرتفع من الارض

(١٠) المحابض هي عيدان يُشار بها العسل والمحارين ما تساقط من الدبر في العسل فمات فيه

(١) الدبر جماعة النحل

## ١٤

### اعزاز الخيل

ولما كانت غارات العرب متواصلة كان للخيل عندهم معزَّة كما نستدل من قول قحيف العجلي

ابيتَ اللعنَ ان سكاب علقٌ     نفيس لا يُعارُ ولا يباعُ
مغدَّاة مكرَّمة علينا     تجاع لها العيال ولا تجاعُ
سليلة سابقينِ تناجلاها     اذا نُسبا يضمُّهما الكراعُ
فلا تطمع ابيتَ اللعنَ فيها     ومنعكها بشيءٍ يستطاعُ

وفي البيت الثالث اشارة الى ان العرب كانوا يحافظون على انساب الخيل وهو امر حقيقي.

قال النابغة الذبياني في صفة خيل قومهِ

فيهم بنات العسجدي ولاحق     ورقًا مراكلها من المضمارِ

وقال ايضاً

قعودًا على آل الوجيه ولاحق     يقيمون حوليَّاتها بالمقارعِ

## ١٥

### العَقْل والقَوَد

ومن سنن العرب اذا قُتِل قتيل اما ان يقبل اهلهُ بعقلهِ اي باخذ ديتهِ او انهم يصرُّون على القوَد وهو قتل القاتل . اما اخذ الدية فواضح من قول عمرو بن كلثوم التغلبي

ثلاثة اثلاث فاثمان خيلنا     واقواتنا وما نقود الى القتلِ

وكان بعضهم قبل الاسلام يجنف عن اخذ ثار القتيل الواحد من قومهِ بالقتيل الواحد من اعدائهِ كما يُعرَف ذلك من حكاية المهلهل التغلبي وقتلهِ ابن اختهِ بجير ابن ام الاعز وهو بجير بن الحارث بن عباد اليشكري وقولهِ اذهب بشسع كليب . وعلى التفضيل بين القتلى قال جميل بن معمر العذري

يقولون لي اهلاً وسهلاً ومرحبًا     ولو ظفروا بي ساعة قتلوني
وكيف ولا توفي دماؤُهمُ دمي     ولا مالهم ذو ندهة فيدوني (١)

وقال عبد الله بن الزبير

قضى الله ان النفس بالنفس بيننا     ولم نكُ نرضى ان نباوئكم قبلُ (٢)

وقالت ليلى الاخيلية في رثاء توبة بن الحميّر

---

(١) ندهه سعة

(٢) باوأهُ الشيءَ بالشيءِ جعلهما سواء

فان تكن القتلى بواءً فانكم    فتى ما قتلتم آل عوف بن عامرِ

وكان العَقلُ غير محمود عندهم بدليل قول كبشة اخت عمرو بن معدي كرب تحرّض قومها على اخذ ثار شقيقها عبد الله وكان اخوها عمرو يتظاهر بقبول الاتِّداء

وارسل عبدالله اذ حان يومهُ    الى قومهِ لا تعقلوا لهمُ دمي
ولا تأخذوا منهم افالاً وابكرًا    واترك في بيت بصعدة مظلم (٤)
فان انتمُ لم تقتلوا واتديتمُ    فمشُّوا بآذان النعام المصلَّمِ

والمشهور في الدية ان كانت دية ملك فألف بعير كما احتملت بنو فزاره دية ابن الاسود ابن المنذر قال قراد بن حنش الصاردي

ونحن رهنّا القوس ثمَّت ارديت    بالفٍ على ظهر الفزاري اقرعا
بعشر مئين للملوك سعى بها    ليوفيَ سيَّار بن عمروٍ فاسرعا

واما ان كانت دية احد العامة فمئة قال سالم بن دارة

ابلغ ابا سالم عني مغلغلة    فلا تكوننَّ ادنى القوم للعارِ
لا تأخذَنْ مئة منهم مجلَّلة    واضرب بسيفك منظور بن سيَّارِ

وكانوا يختارون الدية من الابل الصغار الموسومة بزنمة . قال زهير بن ابي سلمى

فاصبح يُحدَى فيهم من تلادكم    مغانم شتى من افالٍ مزنَّمِ

وكان المزنَّم من كرام الابل . ودليل ذلك افتخار المتلمس باقتناء قومهِ لها قال

وان نصابي ان سألت وأُسرتي    من الناس حيٌّ يقتنون المزنَّما

وبيتا سالم بن دارة الموردان سابقًا يوكّدان انفة العرب من الاتداء حتى تراهُ قد عدَّ قبولهُ عارًا وهكذا قال الاخوص اليربوعي وقولهُ

وليس بيربوع الى العقل حاجة    سوى دنس يسودُّ منهُ ثيابها

وربما كانت الدية من غير الابل . قال زهير بن ابي سلمى

فكلاًّ اراهم اصبحوا يعقلونهُ    غلالة الف بعد الف متمَّمِ
تُساقُ الى قوم لقوم غرامة    صحيحات مال طالعات بمخرمِ

يريد بالالف الف درهم . وقال الحريث بن زيد الخيل

قتلنا بقتلانا من القوم عصبة    كرامًا ولم نأكل بهم حشَفَ النخلِ (٥)

---

(٤) الافال جمع افيل وهو الصغير من الابل
(٥) الحشف اردأ التمر اي انهم لم يقبلوا الدية التي قد تكون من التمر او من امثال ذلك ما يؤكل

وكان اخذ الثار عزيزًا عندهم يتطلَّبونهُ بكل قواهم حتى كانوا يستحبون الموت في سبيل الحصول عليهِ قال الفرزدق يحرّض قومهُ

فاستشعروا بثياب اللؤم واعترفوا    ان لم تروعوا بني اقصى بغاراتِ
وتقتلوا بفتى الفتيان قاتلهُ    او تُقتَلون جميعًا غير اشتاتِ

وكان العزيز المنيع الجانب هو الذي ان قتل احدًا لا يطالب بدية ولا بقوَد قال حسان ابن ثابت مفتخرًا

ما للقتيل الذي اسمو فاقتلهُ    من ديةٍ فيهِ يعطاها ولا قوَدِ

وكان اذا قُتِل رجل من قبيلة يُطالَب القاتل بدمهِ فتجتمع جماعة من الرؤساء الى اولياء القتيل ويعرضون عليهم الدية ويسألون العفو عن الدم فان كان وليهُ قويًّا حميًّا ابى اخذ الدية وان كان ضعيفًا شاور اهل قبيلتهِ فيقول للطالبين ان بيننا وبين خالقنا علامة للامر والنهي فيقول لهم الآخرون ما علامتكم فيقولون نأخذ سهمًا فنركبهُ على قوس ثم نرمي بهِ نحو السماء فان رجع الينا ملطخًا بالدم فقد نُهينا عن اخذ الدية ولم يرضوا الَّا بالقوَد وان رجع نقيًّا كما صعد فقد أُمرنا باخذ الدية وصالحوا . فما رجع هذا السهم قطُّ الَّا نقيًّا ولكن لهم بهذا عذر عند جهالهم قال الاشعر الجعفي

عَقُّوا بسهمٍ ثم قالوا صالحوا    يا ليتني في القوم اذ مسحوا اللحى (٦)

وقال المتنخل الهذلي

عَقُّوا بسهمٍ ولم يشعرْ بهِ احدٌ    ثم استفاقوا وقالوا حبذا الوضحُ (٧)

وكان يسمى السهم الذي يرمى العقيقة ولهذا قال الشاعران عقوا بسهم

امين ظاهر خير الله

---

(٦) مسح اللحى علامة الصلح

(٧) الوضح اللبن كناية عن الابل اي قبول الدية

# رأي ابن خاتمة في الوباء

جرت عادة اهل كل علم في الغرب ان يرجعوا الى اصل العلوم التي يشتغلون بها للاحاطة بتدرجها ودرس تاريخ رقيتها والوقوف على ابحاث من قبلهم من الرجال . وقد ظفرت خلال الوباء الذي انتقل في العام الماضي من مصر الى الشام بكتاب اسمهُ "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" تأليف العلامة ابي جعفر احمد بن خاتمة الاندلسي فاحببت ان احدث القراء ببعض ما قرأتهُ فيهِ لعلمي بما في مقابلة الطب الحديث بالطب القديم من الفوائد الجمة التي لا ينكرها باحث في العلم منها معرفة ما انتهت اليهِ حالة الطب في ذاك الزمن وما يوافق منها القديمُ الحديثَ مثل مسألة ثياب الموبوئين وعدوى لابسيها ومسألة الفصد الذي ذكر المقتطف فائدتهُ في تخفيف الضغط عن القلب وبرء المصاب احيانًا على ما سيجيء ومنها الاطلاع على ما لعلماء الاندلس من العناية بكل شيء حتى ان مثل هذا الفاضل وكان معدودًا من الطبقة العالية في بلادهِ لم يستنكف من الانتساب للطب وكان يعنى بتمريض المرضى ومداواتهم ويعد هذه الصناعة شريفة مثل ما كان يدرس في الجامع الاعظم ببلدهِ ولا عجب فالطب كالفقهِ في الاعتبار كما صرح بذلك الغزالي واحزابهُ

اما المؤلف فقد ترجمهُ لسان الدين بن الخطيب في كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة فقال : هذا الرجل صدر يشار اليهِ طالب متفنن مشارك قويّ الادراك سديد النظر قويّ الذهن موفَّر الادوات كثير الاجتهاد معين الطبع جيد القريحة بارع الخط ممتع المجالسة حسن الخُلق جميل المعاشرة حسنة من حسنات الاندلس وطبقة في النظم والنثر بعيد المرقى في درجة الاجتهاد واخذه بطرق الاحسان عقد الشروط وكتب عن الولاة ببلدهِ وقعد للاقراء ببلدهِ مشكور السيرة محمود الطريقة في ذلك كلهِ

وقال وهو الآن بقيد الحياة وذلك ثاني عشر شعبان سنة سبعين وسبعمائة . وقد ذكر المقري في نفح الطيب طرفًا صالحًا من كلام ابن خاتمة وترجمتهِ

سئل المصنف وضع مؤلَّفهِ سنة سبع واربعين وسبعمائة في خلال وباء ظهر في المَرِيَّة احدى بلاد الاندلس قال وكان ظهورهُ في اول شهر ربيع الاول بموافقة اول شهر يونيه "فاستمر تمامهُ فصل الربيع وجمع فصلي الصيف والخريف وطائفة من فصل الشتاء الى تاريخ كتب هذا وهو منتصف شهر ذي العقدة بموافقة شهر فبراير"

وقسم كتابهُ على عشر مسائل وجزأهُ على بضعة فصول ففي المسألة الاولى كلام على سبب

تسمية هذا المرض بالوافد قال "فظاهر كلام الاطباء انها ( اي الامراض ) وان كان عنها موت فانها لا تعد وباء لان اسبابها متفرقة والامراض الكائنة عنها مختلفة بالنوع وكونها في موضع واحد مما هو بالاتفاق وان اطلق عليها وباء فبحكم الشبه الظاهر وعلى جهة التوسع والمجاز وهذا النوع من المرض هو احد نوعي الامراض التي سمّاها بقراط بالامراض الوافدة قال جالينوس وهي الامراض التي تعم كثيرًا من الناس في وقت واحد فمتى كانت مهلكة سميت موتانًا ومتى كانت سهلة خصت باسم المرض الوافد ومتى كانت خاصة ببلد دون بلد سميت بالامراض البادية وقد قلنا ان الموتان في اصل وضعهِ خاص بالبهائم لكن على ذلك جرت الترجمة

وفي المسأَلة الثانية قال ان للوباء اسبابًا خاصة واسبابًا عامة وسببهُ العام ينقسم الى قسمين قريب وبعيد فالقريب تغير الهواء المحيط بالانسان الذي فيهِ تنفسهُ وهذا التغير يكون في الكيف ويكون في الجوهر وشرح ذلك ثم قال ان هذا البخار لا يتقد فيهِ مصباح بل ينطفئ اذا هو أُسرج وأُدخل فيهِ من ساعتهِ واشد ما يستحيل الهواء الى التعفن والفساد اذا بلغ هذه الدرجة

ونسب السبب البعيد الى تغير الهواء من جهة اتصال الاشعة الفلكية والانوار السماوية والنُصب العلوية وعلى التحقيق من قبل الامر الالهي الذي لم يتحصل اسبابهُ للبشر تحصيلاً يركن اليهِ اذ الوقوف على حدود الاحكام النجومية لم يتحصل بعد ونسبهُ الى تغير الهواء في جهة الزمان والوقت بان يتغير الفصل من فصول السنة عن كيفيتهِ الطبيعية الى ضدهِ وذلك كأَن يكون الربيع باردًا يابسًا على طبيعة الخريف لعدم الامطار في الشتاء قبلهُ وهبوب الرياح الشمالية او يكون الصيف مستويًا لغزارة الامطار فيهِ وهبوب الرياح الجنوبية او يكون الخريف على طبيعة الربيع او الشتاء على طبيعة الصيف لعكس تلك الاسباب. ونسبهُ الى تغير الهواء في جهة المكان والموضع وما يتصل بهِ منهُ وذلك بان ترتفع ابخرة فاسدة متعفنة من السباخ والبطائح المتغيرة المياه والخنادق والاحافير السرية الراكدة الهواء والنبات والبقول المتعفنة واقذار الناس وفضلاتهم وجيف القتلى في الملاحم والدواب التي اصابها الموتان ونحو ذلك مما يحدث البخارات المتعفنة

وهنا ذكر كيف تدرج الوباء وانتقل الى المرية وانهُ حلَّ اولاً في منازل الضعفاء والمساكين وذكر ان عدد وفياتهِ اذ ذاك كان دون وفيات تونس وتلمسان وبلنسية وانهُ هلك في جزيرة ميورقة في يوم واحد ١٠٠٢٥٢ . وخُمِّن من بقي من ناسها بعد الوباء بربع الجميع وكذلك كان الامر بسائر بلاد المسلمين والنصارى ثم قال ما لفظهُ :

"وقد اختلف في مبدإِ هذا الحادث من اين ابتدأَ ظهورهُ فذكر لي الثقة عن بعض تجار

النصارى القادمين علينا بالمرية ان ابتداءه كان ببلاد الخاد وبلاد الخاد بلسان العجم هي بلاد الصين على ما تلقيته عن بعض الواردين من اهل سمرقند وكان ثقة صدوقاً . وبلاد الصين هي من اول المعمور من الارض في جهة المشرق وانهُ ما زال ينتشر من بلاد الخاد ويتصل بما والاها الى ان اتصل بعراق العجم وبر التركية . وذكر لي ايضاً عن آخرين من النصارى القادمين علينا انهُ بلغهم ان ابتداءه كان بارض الحبشة وانهُ انتشر من هنالك فيما يليهم من الاقطار حتى انتهى الى ديار مصر واتصل بالشام . واختلاف هذا النقل يدل على ان هذا الحادث عام لجميع الاقاليم وكافة الاقطار

"وسبب اختلاف النقل والله اعلم انهُ لما ظهر بجهة في الجهات التي هي اوائل المعمور ظن ناسها ان مبدأ هذا الحادث منها وانتشر الخبر بذلك ثم ترادفت الاخبار بنزولهِ بحصن قنا من معاقل الجنويين وهو الذي كان محاصراً في التاريخ القريب قرطبة ( كذا ) بجند المسلمين من الترك والروم ثم بارض بيره وبالقسطنطينية العظمى وجزر الرمانية من سواحل البحر الرومي وبلاد جنوه وارض افرنسه آخر ريف الاندلس فسهل بلاد ارغون وبرطونه وبلنسية وغيرها وعمَّ اكثر مملكة قشتالة حتى انتهى الى اشبيلية من اقصى المغرب واتصل مع ذلك بجزر البحر الرومي بجزيرة صقليَّة وسردانية وميورقة وبلنسية وانعطف على سواحلَ العدوة وبلادها من ارض افريقية الى ما يلي المغرب"

وتكلم في المسألة الثالثة على اختصاص الوباء قوماً دون آخرين على قرب الجوار فاجاب عن ذلك بانهُ يتفق من وجه وهو كالاستعداد ويختلف من وجه آخر وهو الخصوصيَّة وان البلاد ليست احوالها متفقة من كل الجهات فتختلف من جهة قربها و بعدها من البحر ومن جهة اوضاعها ومن قبل اماكنها في السهولة والحزونة ومن قبل مآكلها ومشاربها. وشرح ذلك شرحاً مستوفىً يصح ان يتخذ دستوراً في حفظ الصحة في كل زمان ومكان وقال ان المرية من المدن الساحلية التي تستعد للوباء اكثر من غيرها ووصف مركز تلك المدينة ومآكلها ومشاربها وصفاً لم يبق مجالاً لواصف

ثم قال " اعلم ان الناس ليسوا على طبيعة واحدة ولا مزاج واحد ولا احوالهم في مطاعمهم ومشاربهم وتحفظهم وتفريطهم على وتيرة واحدة بل امورهم في ذلك كلهِ مختلفة جداً فمن كانت الحرارة والرطوبة غالبتين على مزاجهِ وهو في سن الشبيبة وكان بطبعهِ نهماً مسترسلاً في شهواتهِ كثير التملي من الطعام والنوم عليهِ لا يبالي باختيار مأكول ولا مشروب ولا بادخال طعام على طعام واكثر من استعمال المطاعم الرديئة السريعة الاستحالة ولم يُعنَ بحفظ صحتهِ ولا النظر

لنفسهِ فان استعدادهُ لنزول هذا المرض بهِ يكون اعظم لهُ. وانفعالهُ عن هذا الحادث الحالّ اتم ولم يلبث ان يحل بهِ ويشمل ضررهُ اهل بيتهِ ومساكنهُ لسيرهم بسيرتهِ وذهابهم على مهيعتهِ. فقلما اجتمع اهل بيت وتخالفت طبائعهم وسيرهم. ولو فرضنا لعلةٍ انها تختلف فان من نزل بهِ منهم هذا المرض لتمام استعدادهِ يؤْذي غيرهُ ويسري اليهِ ضررهُ"

وافاض المصنف في المسألة الرابعة المتعلقة بعدواهُ فقال "الظاهر الذى لا خفاء بهِ ولا غطاء عليهِ ان هذا الداء يسري شرهُ ويتعدى ضرهُ شهدت بذلك العادة واحكمتهُ التجربة فما من صحيح يلابس مريضاً ويطيل ملابستهُ في الحادث الاَّ ويتطرق اليهِ اذايتهُ ويصيبهُ مثل مرضهِ عادة غالبة اجراها الله تعالى". ثم قال "ولقد شهدت اهل سوق الخلق بالمرية الذين يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم مات اكثرهم ولم يسلم منهم ولا من الذين خلفوهم الى الآن الاَّ الاقل وغيرهم من ارباب الاسواق حالهم كحال سائر الناس. واطلعت في حال البلدان التي حرص اهلها على ان لا يدخل اليهم احد من اهل بلاد الوباء وحافظوا على ذلك ان استصحبوا السلامة زماناً حتى غُلبوا على ذلك. وان اكثر اهل الحصون التي تلي المرية ونزل بها هذا الحادث ليؤرخون زمن نزولهِ بهم بقدوم فلان او فلانة عليهم من بلاد الوباء وموتهِ بين اظهرهم ولهم في التحفظ من ذلك والتورط فيهِ حكايات تواترت بانتشارها فلا معنى لانكارها"

وانكفأَ المؤلف في المسالة الخامسة يبين كيفية التحفظ والاحتراز من الوباء فحصر الامور التي تدعو اليها حاجة الانسان في بقاء حياتهِ في ستة اقسام اولها الهواء المحيط بالانسان وما يرجع اليهِ وثانيها الحركة والسكون وثالثها الاطعمة والاشربة ورابعها النوم واليقظة وخامسها الاستفراغ والاحتقان وسادسها الاعراض النفسانية وفسر كلاًّ من هذه الانواع بما معناهُ:

فاصلاح الهواء يكون باتخاذ البيوت الشمالية وفرشها بالرياحين الباردة ومسح الوجه والاطراف بذلك والمواظبة على شمهِ وشم الاترج والليم والازهار الباردة كالورد والبنفسج والترنجبين بالصندل مع يسير من العود الرطب ويحذر التعرض للشمس والسموم وموقد النيران وما يشعل حرارة الابدان. وينبغي ان يمال الى السكون ما ساعد الامكان. واصلح الاطعمة والشراب ما نشأَ الانسان عليهِ من البر والشعير اذا حسن اختمارهما وان كان يتناول الذرة فالاصلح الانتقال الى الشعير ومن الاطعمة حسو من فتيت خبز البر وطبيخ الارز الرقيق واصلح اللحوم ان استعملت ودعت الحاجة اليها لحوم الفتيان من الدجاج والحجل ولحوم الحملان ورضيع البقر يعصر عليها خل الليمون او خل الحصرم ويستعمل بيض الدجاج النيمبرشت وتستعمل البقول المزوَّرات واصلح الفواكه الكمثرى والرمان الحامض والموز والاجاص على خلاء المعدة واصلح المياه ما عذب طعمهُ

وصفا وخف وزنهُ وانحدرت جريتهُ من ماء العيون وما قرب من ذلك فصلاحيتهُ بحسب قربهِ ولا بأس باستعمال ماء الشعير المحكم وتناول شيء من شراب السكنجبين وشراب التفاح ممزوجين بالماء كل صباح على الريق وكذلك شراب الرمان والسفرجل والحصرم وربوبها وشراب الليم وحماض الاترج ونحو ذلك لما يكسر سورة الدم . واصلح النوم ما كان ليلاً على المعتاد ولا بأس بهِ نهارًا في الصيف وليعدل بهِ في الصيف الى الاماكن الشمالية الندية التي تخترقها الرياح . وان تصرف العناية الى تسهيل الطبع دائمًا ووصف لها كثيرًا من الاشربة المباحة ووصف القيء لمن اعتادهُ ورأى ان الحجامة هي النكتة في حفظ الصحة عند حلول هذا الحادث. ورأى النفع في الفصادة قال وكلما توفرت الموجبات في المتطببين عندهُ واحتاجت حالتهم للدم اطلقة لهم ولما الف الناس الانتفاع بهِ صاروا يفتصدون من تلقاء انفسهم . واصلح الاستحمام ما كان في ديماس معتدل الهواء بماء عذب فاتر بحيث يستلذ صبهُ على الجسد ولا تطال مدتهُ . واصلح الاعراض النفسانية التعرض للمسرات والافراح ويستدعى ذلك بما امكن في الامور المباحة ومجالسة من تبتهج النفس بحديثهِ ومطالعة الكتب وليحذر التعرض للغمّ واتعب الناس في هذه النازلة ارباب العقول واروحهم البُله واصحاب الفراغ ويجتنب ما يعود على النفس بروع او فزع او انزعاج . وختم هذا الباب بقولهِ انهُ لا ينبغي للعبد ان يفرط فيما انعم الله بهِ عليهِ من العلم والعمل الكفيلين بمصالح الدنيا والآخرة ولا ينبغي للعبد ان يحلّ يدهُ من التوكل طرفة عين فلا يكون توكلهُ على الله تعالى سبحانهُ الاَّ بعد استفراغ جهدهِ في التحفظ والاحتراز وهذه حقيقة العبودية

وبسط في المسألة السادسة علاج الوباء الذي عرف الى عصرهِ "بحسب ما اعطاهُ العلم وشهدت لهُ التجربة وصححتهُ المعاناة والممارسة" ووصف علاجهُ قبل تمكنهِ وعلاجهُ بعد ذلك واتى على مشاهداتهِ في اناس لا يأخذهم الحصر اثمر فيهم إطلاق الدم . قال واما اذا استحكم المرض فالمداواة في الغالب قليلة الجدوى . وقسم الطواعين الى ثلاثة انواع وذكر اعراضها وتشخيصها وعلاجها . وهنا انتهى القسم الطبي من الكتاب وبدأ القسم الديني

بعد ان ذكر ابن خاتمة ما تقدمت الاشارة اليهِ من القوانين الطبيَّة بادب بادٍ للعيان اثرهُ ودين لا حشو فيهِ ولا شوب عليهِ انشأ يبرهن على الاخذ بذلك من وجهة دينيَّة فقال ما محصلهُ : لاجدال بين الائمة في جواز التداوي عند نزول الداء ويدل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع ثم فصَّل ذلك تفصيلاً واستند في النقل الى ثقات المؤرخين مثل مروان بن حيَّان وابي الفرج الجوزي

وعاد في المسألة الثامنة يتوسع في شرح النهي عن القدوم الى ارض الوباء او الخروج عنها فرارًا منهُ وذكر قصة عمر بن الخطاب لما رجع بجيشهِ من سُرَغ احدى بلاد الشام وقد بلغهُ وقوع الوباء فيها وبعد ان اورد نصوص العلماء في هذا المعنى من "الاخذ بالحذر والحزم الذي امرنا الله تعالى بهِ وطلب الاسباب التي هي سوابق القدر واسرار القضاء كما امرنا باتخاذ الحصن من العدو وتجنب المخاوف والمهالك" انتهى الى المسألة التاسعة وهي كالمسألتين السالفتين في لزوم الوقاية وتدبير الصحة عملاً بما رسمتهُ الشريعة فذكر ما ورد في الحديث ( لا عدوى ولا طِيَرة ولا صفَر ولا هامَة ) وحديث (لا يورِدْ ممرِضٌ على مُصحٍّ )وصرّح ان لا تعارض بينهما(١)

وخلص في خاتمة الكتاب اي في المسألة العاشرة الى الاجابة عن كيفية الجمع بين حديث لا عدوى وحديث النهي عن القدوم على ارض الطاعون او الخروج عنها فرارًا منهُ وغيرها من الاحاديث مثل حديث المرأة التي اتت الشارع الاعظم فقالت يا رسول الله دارٌ سكناها والعدد كثير والمال وافر فقلّ العدد وذهب المال فقال دعوها ذميمة . وحديث العرنيين الذين استوخموا المدينة اذ قالوا يا نبيَّ الله انّا كنا اهل ضَرع وشكوا اليهِ بانهم استوخموا المدينة فامر لهم بذَوْد وراعٍ واذن لهم في الخروج عنها . كل ذلك على وجه يرتضيهِ علماء العقل والنقل

هذا ما ساعدت المكنة على اقتباسهِ من هذا التأليف النفيس ولم ارَ لمؤلفهِ ما ينتقد عليهِ في الفاظهِ ومعانيهِ بحسب ذوق اهل العصر الحاضر ولم اشبههُ الاَّ بعالم عامل عاقل يكتب الآن في صميم قارة اوربا . والنسخة التي امامي تقع في مائة وخمسين صحيفة منصَّفة القطع فيها شيءٌ من التحريف ربما يهتدى الى حقيقتهِ وقد كتب في آخرها ( قابلها وصححها بقدر الامكان وتم ذلك في ليلة الخميس رابع رجب سنة ٩٩٥ عليُّ بن غانم المقدسي ) وهو عالم معروف . وبلغني ان بالقدس نسخة اخرى من هذا الكتاب ورأيت بعد تحرير هذه الرسالة مقالة لبعض علماء تونس من اهل عصرنا ينقل فيها عن هذا الكتاب مما يظهر ان نسخهُ كثيرة. وحبذا لو تصدت احدى المطابع لنشرهِ تعميما لفائدتهِ

دمشق **محمد كرد علي**

---

(١) قال الامام النووي جامعًا بين حديث لا عدوى وحديث لا يورد ممرض على مصح قال جمهور العلماء يجب الجمع بين هذين الحديثين وهما صحيحان قالوا وطريق الجمع ان حديث لا عدوى المراد بهِ نفي ما كانت الجاهلية تزعمهُ وتعتقدهُ ان المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى واما حديث لا يورد ممرض على مصح فارشد فيهِ الى مجانبة ما يحصل الضرر عندهُ في العادة بفعل الله تعالى وقدرهِ فنفى في الحديث الاول العدوى بطبعها ولم ينفِ حصول الضرر عند ذلك بقدر الله تعالى وفعلهِ وارشد في الثاني الى الاحتراز مما يحصل عندهُ الضرر بفعل الله وارادتهِ وقدرتهِ فهذا الذي ذكرناهُ من تصحيح الحديثين والجمع بينهما هو الصواب الذي عليهِ جمهور العلماء ويتعين المصير اليهِ

# رجال المال والاعمال

## هنري فرك الفحّام

لا نرى مثل تحريك الهمم لنيل المعالي ممهدًا لارتقاء الامم ولا مثل سيَر العظماء ولاسيما العصاميون منهم مكبّرًا للنفوس ومشدّدًا للعزائم ولذلك نجد قرّاء المقتطف يطالبوننا بالمزيد من هذا الباب ونجد من انفسنا ارتياحاً الى اجابة طلبهم

والرجل الاول الذي اخترنا ترجمتهُ لهذا الجزء المستر هنري كلاي فرِك الفحّام مدير معامل كارنجي

كان هذا الرجل فقيرًا جدًّا في صباهُ مثل اكثر العصاميين الذين اغتنوا بجدّهم فكان يعمل في الحقول وعمرهُ عشر سنوات يجمع اغمار الحنطة في ايام الحصاد ويشتري ثياباً باجرتهِ وذلك في ولايات اميركا بلاد الحرية والاجتهاد حيث ولد سنة ١٨٤٩ . ولما صار عمرهُ اربع عشرة سنة كان قد تعلَّم القراءة والكتابة والحساب فجُعل كاتباً في احد المخازن الصغيرة وبقي فيهِ خمس سنوات ثم سلَّم اليهِ جدُّهُ دفتر حساباتهِ وكان عندهُ مطحنة ومعمل لاستقطار الخمور

وبعد قليل اشركهُ رجل في منجم فحم حجري وفوَّض اليهِ مسك حسابهِ وكان عَمَل فحم الكوك من الفحم الحجري في بداءة شيوعهِ فاهتمَّ ببناء افران كثيرة لعمل الكوك ولما اضطربت الاحوال الماليَّة سنة ١٨٧٣ وباع اصحاب الاسهم اسهمهم باثمان بخسة فاشترى كثيرًا منها وبعد اربع سنوات اشترى حصص شركائهِ في المنجم واستقلَّ بهِ وبما يصنع منهُ من فحم الكوك . وبعد ست سنوات صار اكبر صانعي الكوك في ولاية بنسلفانيا وصار كارنجي المثري الشهير يحسب حسابهُ لان سبك الحديد والفولاذ يتوقف على فحم الكوك فضمَّهُ اليهِ . ولما اتحدت الشركات التي الَّفها كارنجي في شركة واحدة جُعل صاحب الترجمة رئيساً لها ولهُ اليد الطولى في انجاح معامل كارنجي وتوسيع نطاقها حتى صارت اوسع المعامل كلها واغناها . وكان رأس مالها خمسة ملايين ريال سنة ١٨٨٦ فصار خمسة وعشرين مليون ريال سنة ١٨٩٢ ومئة وستين مليون ريال سنة ١٨٩٩ . وصار جامع حزم الحنطة رئيساً لمناجم يخرج منها في السنة ستة ملايين طن عدا السفن والمرافئ اللازمة لنقل الحجارة المعدنيَّة منها وعدا سبعين الف فدان من الاراضي التي يخرج الغاز الطبيعي منها وعدا تسعة عشر اتونًا لسبك الحديد لا مثيل لها في المسكونة وخمسة مسابك كبيرة يخرج منها كل سنة ثلاثة ملايين طن من الصلب . هذا ومعاملهُ التي يصنع فيها فحم الكوك كانت تصنع خمس مئة طن في السنة فصارت تصنع مليون

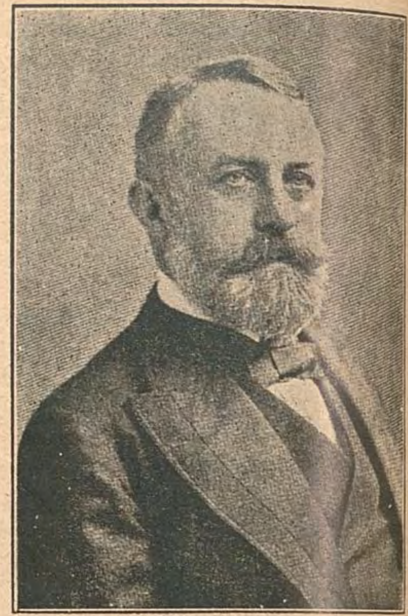

هنري فرِك الفحّام

السر هنري دُلتُن الخزّاف

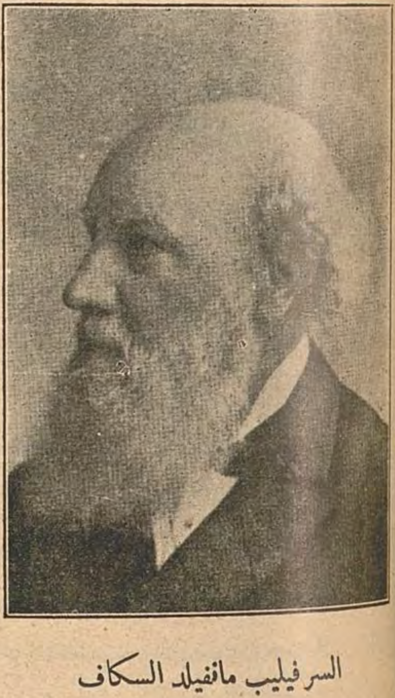

السر فيليب مانفيلد السكاف

داود موفات الصرّاف

طن وصار عندهُ اثنا عشر الف فرن لشي الكوك واربعون الف فدان من الارض لاستخراج الفحم الحجري واحد عشر الف رجل لاستخراجهِ منها وصار اسمهُ يُكتَب على الوف من مركبات النقل في سكك بنسلفانيا

ولما اعتصب العمَّال اعتصابهم الكبير سنة ١٨٩٢ دنا منهُ واحد من النوضويين واطلق عليهِ الرصاص مرتين فاصابهُ في عنقهِ وطعنهُ بخنجر ست طعنات وحاول نسف المعمل الذي كان فيهِ بالديناميت حاسباً انهُ اذا قتلهُ خرب عمل كارنجي كلهُ. واسرع اصدقاؤهُ اليهِ وقبضوا على الفوضوي وسدَّد واحد منهم مسدَّسهُ الى رأسهِ وقال للمستر فرك هل اقتلهُ فقال لهُ كلاَّ بل دعني انظر وجههُ

وكان سبب الاعتصاب على معامل كارنجي انها استخدمت آلات جديدة ووسائل جديدة واشركت العمال في بعض الربح فزاد المسبوك من الحديد والصلب فيها زيادة بالغة فضاعفت اجور صناعها ورخَّصت مصنوعاتها . وغاظ ذلك بقيَّة المعامل المناظرة لهُ لان رجالهم ثاروا عليهم طالبين زيادة الاجرة فدسُّوا الى بعض الفوضويين ليقتلوا رئيس معامل كارنجي زاعمين ان ذلك يخربها فتزول شكوى العمال . وحاول كثيرون من رجال السياسة حمل المستر فرِك على موافقة غيرهِ من ارباب المعامل بمنع اشراك العمال في الربح فلم يقبل بل اصرَّ على عزمهِ . والناس اجمع يعترفون الآن انهُ كان مصيباً وقد اقتدى بهِ غيرهُ من اصحاب المعامل اي انهم جعلوا الاجور على نسبة العمل فزاد العمل وزادت الاجور

ثم لما صارت معامل كارنجي اسهماً بلغ نصيب فرِك ستة عشر مليونًا من الريالات اخذ بها اسهماً صار ثمنها الآن ثمانية وعشرين مليونًا اي نحو ستة ملايين من الجنيهات

وهو مع هذه الثروة الوافرة التي نالها بجدهِ واجتهادهِ وانال غيرهُ اكثر منها بعيدٌ عن الدعوى والظهور بسيط في اطوارهِ واعمالهِ يفضّل ان يقيم في الارياف على الاجتماع مع العظماء في الحفلات والولائم . يخفي مبرَّاتهِ حتى لا يدري بها احد فيشكرهُ عليها . وبلادهُ مديونة له بجانب كبير من نجاحها الصناعي في هذه السنين الاخيرة . وقد لقَّبناهُ بالفحَّام لان الفحم كان عماد ثروتهِ

## السر هنري دُلتُن الخزَّاف

اذا اراد الشرقيون ضرب المثل بالصنَّاع الذين لا يكتسبون من صناعتهم قالوا "مثل الفواخره لا دنيا ولا آخره". وقد عرفنا كثيرين من صانعي الفخار في هذه البلاد وفي بلاد الشام وبعضهم على جانب كبير من ذكاء العقل حتى لما قرأوا ما كتبناهُ في سر النجاح عن

الخزافين الثلاثة العظام انقدت غيرتهم وحاولوا اكتشاف دهان شفاف للخزف السوري والمصري واكتشاف تراب يصنع منهُ الخزف الابيض وجرَّبوا تجارب كثيرة في هذا الباب ولكننا لم نرَ انهم نجحوا حتى الان

وههنا سيرة رجل كان خزَّافًا فقيرًا في صباهُ ولكنهُ لم يمت حتى صار يملك اكثر من مليون من الجنيهات من صناعة الخزف

شرع في عمل الخزف وعمرهُ خمس عشرة سنة فتعلَّم حالاً كيف يدير الدولاب برجلهِ ورأَى مشقَّة هذا العمل وان البخار قد قام مقام العمَّال في كثير من الاعمال فاستخدمهُ في ادارة دواليب الخزف . وكان قد قرأَ مبادئ العلوم والمعمل لابيهِ فسهل عليهِ ادخال الاصلاح فيهِ

وانفصل عن ابيهِ سنة ١٨٤٦ وانشأَ معملاً خاصًّا ليصنع فيهِ برابخ المصارف من الخزف فانهُ رأَى ببصيرتهِ انهُ لا بدَّ من ان يشيع انشاء المصارف في كل المدن لان قوانين الصحَّة تقتضي ذلك فاذا اعدَّ لها برابخ متينة راجت رواجًا عظيمًا. وكان المهندسون وجمهور الاهالي لا يستنسبون استعمال برابخ الخزف فلجأَ الى كبار رجال الصحَّة فامتحنوها وقالوا انها صالحة للاستعمال فشاعت برابخهُ وكثر استعمالها في مدينة باريس فربح منها ربحًا وافرًا واخذ ينفق ما ربحهُ على اتقان عمل الخزف واستنباط الاشكال البديعة منهُ فاستنبط النوع المعروف باسمهِ وعرضهُ في معرض باريس سنة ١٨٦٧ فاعجب بهِ الفرنسويون واشتروا كل ما عرضهُ منهُ . ثم استنبط الخزف الذي يدهن بواسطة الملح فشاع استعمالهُ كثيرًا ونال ٢٢٠ نيشانًا من المعارض التي عرض فيها مصنوعاتهِ حتى جُعل فوق المناظرة في معرض باريس الاخير

وكان معملهُ صغيرًا جدًّا حينما انشأَهُ اولاً فوسعهُ رويدًا رويدًا حتى صارت مساحتهُ ستة افدنة وانشأَ معامل اخرى في اماكن مختلفة ومنها معمل يصنع في الاسبوع من البرابخ ما طولهُ ثلاثون ميلاً يقتضي صنعها الفي طن من طين الخزف كل يوم وبعض هذه المعامل في برسلم وبازلي وباريس ومعاملهُ تصنع كل انواع الخزف المختلفة من البرابخ البسيطة الى ادق المصنوعات الخزفية . وعندهُ في معامل برسلم وحدها ١٥٠٠ عامل وهي تصنع من صحاف الطعام وحدها ٩٠٢٠٠٠ صحفة كل اسبوع ونحو خمسة ملايين صحفة كل سنة

ولما شرع في عمل الخزف كان الخزافون لا يعبأُون بفن النقش حتى تكون مصنوعاتهم جميلة في شكلها ونقشها والوانها فاستعان بمهرة النقاشين واتقن هذه الصناعة وانفق مبالغ طائلة على اتقانها حتى قيل انهُ كان ينفق كل ما يربحهُ من عمل البرابخ على نقش الخزف لكن نفقاتهِ الكثيرة جاءَتهُ اخيرًا بربح وافر جدًّا ولا سيما لما تمكَّن من عمل الاجر المدهون الذي تبنى بهِ

البيوت او تبطَّن بهِ جدرانها من الداخل وتصنع منهُ الفساقي الجميلة فانهُ ناب مناب الحجر الصلب ومناب الرخام ايضاً

واستخدم كثيرين من المصورين والنقاشين لزخرفة الآنية التي صنعها وكان ينشط هؤُلاء الصنَّاع بكل واسطة ممكنة وانشأَ لهم داراً علمية ومكتبة واسعة فيها نفائس الكتب وجمع لهم مجموعةً كبيرةً من تحف الصناعة زيَّن بها غرف المائدة

ولما توفي حُوِّل عملهُ الى شركة مساهمة رأْس مالها مليون ومئة الف جنيه وظهر من دفاترهِ ان ربحهُ السنوي كان ٦٧ الف جنيه

### السر فيليب مانفيلد السكاف

السكَّاف كالخزَّاف من أحقر الصنَّاع عند المشارقة لكن من يولد سكَّافاً لا تمنعهُ حرفتهُ عن ان يصير رئيس السكافين ويعلو فوقهم فيصير من وجوه بلادهِ اذا كان عالي الهمَّة صادق العزيمة

تعلَّم صاحب الترجمة القراءة والكتابة وعمرهُ سبع سنوات علمتهُ امهُ في البيت وكانت من الموحدين فلم تشأْ ان يتعلَّم في مدارس الكنيسة فينشأ على عقائد لا تسلّم بها وكان ابواهُ فقيرين جدًّا حتى كانا يضطران ان يرهنا ثيابهُ فلم يكد يحسن القراءة حتى خرج يطلب الخدمة فدخل صانعاً عند حلاَّق ثم عند غيرهِ من اصحاب الحرف الصغيرة الى ان صار عمرهُ اثنتي عشرة سنة وجمع حينئذٍ جنيهاً واحداً من اجرتهِ وهذا كل ما كان يملكهُ في الدنيا فدخل صانعاً عند سكَّاف وبقي عندهُ اربع سنوات الى ان صار عمرهُ ست عشرة سنة وكان قد مهر في صناعة السكافة فانتقل الى مدينة برستول ودخل في خدمة رجل صاحب معمل لعمل الاحذية وبيعها ولم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى صار مديرًا لذلك المعمل وتزوج حينئذٍ وكان يعتني بلباسهِ وترتيب بيتهِ فظهر كأَنهُ من الخاصة فاستأْجر "شقة" في حي يسكنهُ اواسط الناس مثل الكتَّاب وصغار التجار وقبل ان يمضي عليهِ بضعة اسابيع جاءهُ صاحب البيت وقال لهُ ان سكان بيتي اعترضوا عليَّ لانني اسكنتك فيهِ وانت من الصنَّاع فإِما ان تخرج منهُ او يخرج منهُ كل السكان . فشعر كأَنَّ الارض ابتلعتهُ ولكنهُ كظم الغيظ وخرج من البيت لئلاَّ تقع الخسارة على صاحبهِ بخروج السكان كلهم منهُ . وهي غطرسة عند الانكليز لا يعهد لها مثيل عندنا ولقد سمعنا مرة زوجة احد المستخدمين تقول "كيف اجتمع مع فلانة في مكان واحد وزوجها صاحب دكان" . وصاحب الدكان هذا تاجر كبير من تجار هذه العاصمة والعائلة مديونة لهُ بمبلغ كبير من المال

هذا ولنعُد الى السكاف او صانع السكاف فنقول انهُ خرج من مدينة برستول كلها وذهب الى مدينة لندن ومنها الى نور ثمتن وهناك معمل صغير لعمل الاحذية فجُعل مديرًا لهُ وكان عمرهُ حينئذٍ ٢٤ سنة وكان يملك ١٥٠ جنيهاً جمعها بجدهِ واقتصادهِ ولم يقم طويلاً حتى بلغهُ ان صاحب المعمل عازم على اقفالهِ فعزم على السفر منها الى غيرها واتتهُ زوجة صاحب المعمل وجعلت تحثهُ على اخذ المعمل والاشتراك مع اخيها فيهِ فابى ذلك لانهُ كان يريد ادخال الاساليب الجديدة في الصناعة واخوها لا يميل الى ذلك ولما رأت انهُ لم يجبها الى طلبها ودعتهُ وخرجت ثم التفتت اليهِ قبل ان سارت وقالت لهُ ان كنت لا تريد ان تشترك مع اخي فلماذا لا تأخذ المعمل وحدك . وذهب تلك الليلة الى فراشهِ وهو يفكّر في كلامها ولم ينم الليل كلهُ وقام في الصباح وقد صمم على ان يعمل حسب اشارتها ويدير المعمل بنفسهِ وكان يقول بعدئذٍ ان اشارتها كانت سبب نجاحهِ . فشرع في العمل ورأس مالهِ مئة وخمسون جنيهاً وكان ذلك سنة ١٨٤٤ ولم تأتِ سنة ١٨٥٩ حتى انشأ اول معمل حديث في تلك المدينة ومن ثمَّ اخذ نجاحهُ يزيد زيادة بالغة جدًّا سنة فسنة الى سنة ١٨٩٠ فتنحَّى عن ادارة العمل بعد ان سلمها لابنهِ وصار على جانب كبير من الثروة ثم بني معمل جديد لاعمالهِ سنة ١٨٩٢ شغل من الارض ما مساحتهُ اربعة افدنة

وتوفيت امرأتهُ الاولى فتزوج غيرها سنة ١٨٥٣ امرأة من فضليات النساء ذكية الفؤاد كريمة الاخلاق تكره الابهة والظهور وتميل الى المنافع العمومية وبسعيها واعتنائها انتظم في سلك الطبقة العليا من اهالي بلادهِ ورغب في المعارف فجمع مكتبة كبيرة فيها خمسة آلاف مجلد من نخبة الكتب فحصَّل ما لم يحصلهُ في صغرهِ من مبادئ العلوم والمعارف وتعلم اللغة الفرنسويَّة ايضاً حتى صار يتعذَّر على مَن يراهُ ويسمعهُ ان يحسب انهُ شبَّ سكافاً يطرّق النعال بيديهِ . واتقن الكتابة والانشاء وكان غاية في الظرف وحسن البزة وطلاقة الوجه وعذوبة المنطق كأنهُ ربي بين اهل الوجاهة فسهل عليهِ الدخول في مصافهم . وهو الذي انشأ جمعيَّة السكافين او صانعي الاحذية فانتُخب رئيساً لها واكرمهُ اصحاب معامل الاحذية اكراماً عظيماً واهدوا اليهِ هدية نفيسة علامة اكرامهم

وكان من حزب الاحرار ومن زعمائهم في بلدهِ فتقلَّب في مناصب كثيرة استشارية وقضائية وسنة ١٨٩١ انتخب عضوًا في مجلس النوَّاب باكثرية لم ينلها غيرهُ وقبلهُ نظمت جريدة بنتش لهُ ابياتاً ذكرت فيها انتخابهُ لمجلس النواب وقالت انهُ يستحق صوتين فيهِ لنكتة في اسمهِ فانهُ يبتدئ بالحرفين الذين يضافان الى اسماء اعضاء مجالس النواب فيصير M.P. Manfield M.P.

واعيد انتخابهُ سنة ١٨٩٢ وأُعطي لقب سر سنة ١٨٩٤ ثم استعفى من مجلس النواب في السنة التالية بسبب الشيخوخة وتوفي سنة ١٩٠٠ وعمرهُ احدى وثمانون سنة وخرج في جنازتهِ خمسة عشر الف نفس. ولم نقف على مقدار ثروتهِ ولكنها كانت طائلة لان هبة واحدة من هباتهِ بلغت سبعة آلاف جنيه غير انهُ لا يذكر بثروتهِ بل بنجاحهِ في تنظيم عمل كان يعدُّ حقيرًا وايصالهِ اياهُ الى درجة عالية من المكانة وبانهُ كان مثالاً في الرقة وبُعْد النظر وسرعة الخاطر وهو معدود عند قومهِ من نخبة ارباب الاعمال الذين يشار اليهم بالبنان حتى لما جمعت سيَر نحو خمسين منهم مثل روشيلد وكارنجي وركفلر ورونصن وسسل رودس ذكر صاحب الترجمة بينهم

### داود موفات الصرَّاف

كان هذا الرجل خادمًا في بنك من بنوك نيويورك وذلك منذ خمسين سنة وهو الآن صاحب اكبر بنك في كولورادو باميركا ومدير لبنكين كبيرين من بنوك نيويورك ولشركة من اغنى شركات ضمانة الحياة في الولايات المتحدة الاميركية . ولهُ كثير من المناجم الغنيَّة وتقدَّر ثروتهُ بخمسة وعشرين مليونًا من الريالات او خمسة ملايين من الجنيهات

والذين نجحوا في جمع الثروة الطائلة جمعوا ثروتهم اما بسلب غيرهم ولو بالوسائل التي يقال انها محلَّلة او بايجاد وسائل جديدة للكسب فربحوا منها وربح غيرهم معهم وصاحب الترجمة من هذا الفريق الاخير فانهُ جمع ثروتهُ من مشروعات استفاد منها ابناء وطنهِ كما استفاد منها هو فانتفع ونفع واهالي كلورادو يقولون انهُ هو الذي عمَّر ولايتهم لانهُ ما من احد استثمر خيراتها الطبيعيَّة مثلهُ فلهُ الفضل الاول في انشاء كل السكك الحديديَّة فيها ولهُ اليد الطولى في تدبير امورها الماليَّة ولولاهُ لأُغضي عن مد سكك الحديد في تلك البلاد القاصية الى ماشاء الله

ويظهر مقدار الرجل وعلو همتهِ من الحادثة التالية . زار مدينة نيويورك في الشتاء الماضي طالبًا ان ينشئ سكة جديدة من مدينة دنفر الى سلت ليك تقطع الجبال الصخرية بين خطين من خطوط سكك الحديد فلقي اشد المقاومة لان الخط الذي يريد انشاءهُ يغيّر مجرى التجارة في وسط اميركا ويضاد مصالح اصحاب ذينك الخطين. وكان مقتنعًا بفائدة مشروعهِ لانهُ درسهُ درسًا مدققًا فثبت لهُ امكانهُ ونفعهُ لكنهُ يقتضي نفقات طائلة جدًّا لان الخط الذي يريد انشاءهُ يجب ان يصعد فوق اعلى جبال اميركا ويمر في قفار قاحلة ولما رأى الاعراض من اغنياء نيويورك قال لهم لا بأس فانا انشئ الخط وحدي ونحن في كولورادو لم تبلْ علينا الثعالب عندنا قليل من المال نجمعهُ ونتعاون وعاد من ساعتهِ الى مدينة دنفر والَّف شركة لانشاء هذا الخط وشرع فيهِ حالاً ولم تمضِ بضعة اشهر حتى اتمَّ منهُ عشرين ميلاً وسيكون اعظم

سكك الحديد التي انشأها واكثرها نفقةً ويحصل منهُ ربح وافر لهُ ولشركائهِ

وغرضهُ الاكبر من مشروعاتهِ تعمير الولاية التي اتخذها وطناً لهُ منذ بلغ اشدَّهُ وحمل الاغنياء على استثمار اموالهم في سُبل تنفعهم وتنفع غيرهم لان الاموال المجموعة في الصناديق لا ينتفع بها احد فهي كالمعادن المطمورة في الارض واما اذا أُخرجت وعُمِلَت بها الاعمال العمومية كالسكك الحديدية والترع والمصارف والمعامل انتفع بها جمهور الناس وقلَّت متاعبهم وسهلت مواصلاتهم وزاد انتفاعهم من خيرات الارض . واذا تمَّ مشروعهُ الاخير الذي يحسبهُ غرض حياتهِ وغاية ما يرمي اليهِ اتصلت مدينة دنفر بالاوقيانوسين الاتلنتيكي والباسيفيكي توًّا وقصرت بهِ المسافة من شيكاغو الى سان فرنسسكو عشر ساعات على الاقل وفتحت الجهات الشمالية الغربية من ولاية كولورادو للاستعمار وهي اغنى اقسام كولورادو كلها ولا تزال على حال الفطرة حتى الآن لصعوبة الوصول اليها . وهو يعتقد ان خيرات تلك البلاد الواسعة ستصبُّ في مدينة دنفر فلا يمر ثلاث سنوات حتى يصير عدد سكانها ثلثمئة الف نفس اي مضاعف عدد سكانها الآن . والله يعلم كم يترتَّب على ذلك من وفور الخيرات واتساع الثروة

وقد ولد هذا الرجل سنة ١٨٣٩ وكان خادماً في بنك في مدينة نيويورك رسولاً يتردَّد على زبائن البنك يقدم لهم التحاويل ونحوها ثم جُعل مساعداً لصراف البنك وبعد اربع سنوات نقل الى بنك في ولاية ايوى وجُعل صرَّافاً فيهِ واقتصد في ما ينفقهُ من اجرتهِ حتى جمع قليلاً من المال فاشترى بهِ كتباً ودفاتر وسار الى مدينة دنفر فوصلها في ١٦ مارس سنة ١٨٦٠ واقام فيها يبيع الكتب والدفاتر وادوات الكتابة سبع سنوات فنجح في ذلك ولما انشيء فيها اول بنك سنة ١٨٦٧ جُعل صرَّافاً لهُ ثم صار مديراً لذلك البنك سنة ١٨٨٠ ولا يزال مديراً لهُ حتى الآن . ولهُ الجانب الاكبر من اسهم شركة المياه في دنفر ومن اسهم شركة الترامواي وادارة هاتين الشركتين في يدهِ . وفي يدهِ ايضاً ادارة شركة ضمانة الحياة المعروفة بالاكويتابل وادارة البنك الوطني الرابع والبنك الوطني الغربي

وهو ساكن في مدينة دنفر في بيت قديم لا دليل عليهِ من دلائل الثروة التي يمتلكها الآن . ولما حدثت الضيقة المالية سنة ١٨٩٣ واوقفت بنوك دنفر الدفع اخذ بنكهُ يمد التجار بنقود الورق ويمهلهم في الدفع ويقال ان مئات من اغنياء دنفر نجوا من الافلاس بسببهِ ثم لما اشتدَّت الازمة كثيراً كان عندهُ مليونا ريال من سندات الحكومة فصرفها نقوداً ومدّ البنك بها فتمكَّن من انقاذ كثيرين من الافلاس

ومن مزاياهُ الغريبة انهُ يشتغل لاصدقائهِ ولا يخبرهم الاَّ حينما يتحقق الربح لهم مثال ذلك

انهُ لما انفرجت الازمة بعد سنة ١٨٩٣ اشترى اسهماً من اسهم بعض المناجم باسم صديق لهُ في نيويورك ولم يخبرهُ بذلك ثم ارتفت قيمة تلك الاسهم حتى بلغ الربح منها خمسة وسبعين الف ريال فاخبرهُ بذلك وقال لهُ ان الدراهم تحت امرك فحوَّل صديقهُ عليهِ بخمسين الف ريال وجاء الصراف الى المستر موفات وقال لهُ ان فلاناً حوَّل علينا بخمسين الف ريال وليس لهُ درهم عندنا فقال موفات لا بأس ادفع المال الذي طلبهُ فقد يكون مضطرًّا اليهِ ليساعد بهِ احداً ويعلم اني لا اطالبهُ بمال يُنفَق في هذا السبيل

وقد يظهر باديء بدءٍ ان الفُرَص اعانت هذا الرجل ولها اليد الطولى في جمع ثروتهِ الطائلة ولكن الذين يعرفونهُ حق المعرفة يقولون انهُ هو سبب نجاحهِ فانهُ من افدر الماليين واقواهم فراسة يعرف اخلاق الناس وينظر في الامور فيحكم فيها حكماً صائباً ولذلك افلح في اختيار مساعديهِ والذين يعتمد عليهم في ادارة اعمالهِ وافلح ايضاً في اختيار المشروعات الناجحة اضفْ الى ذلك شجاعة ادبيَّة ولطفاً وحناناً فلا يحجم عن عمل يتحقَّق نفعهُ مهما لقي فيهِ من المصاعب ولا يمنع خيرهُ عن مستحق ولو لم يطلب ذلك منهُ

## ظاهر العمَر

رجل من نوابغ القرن الثامن عشر نشأ في فلسطين من اسرةٍ يُقال ان جدَّها ابا زيدان كان من اهل المدينة وقد هاجر بقومهِ الى ضاحية الشام واقام على ضفاف الاردن وبحيرة طبريَّة حتى انقرضت الاسرة المعنية في اواخر القرن السابع عشر وانعمت الدولة العلية بولاية لبنان على الامير بشير الشهابي فنهض سنة ١٧٠٠ لنجدة والي صيداء ارسلان باشا على مشرف ابن علي الصغير صاحب بلاد بشارة فلما ظفر الباشا بهِ ولَّى الامير على بلاد صفد وما اليها فعهد الامير بحكومتها لنسيبهِ الامير منصور وجعل تحت يدهِ الشيخ عُمَر ابن ابي زيدان فشرعا يسددان الامور حتى توفي الامير منصور سنة ١٧٠٢ فاقرَّ الامير بشيرٌ الشيخَ عُمَر والياً بدلاً من نسيبهِ

وليس في ما لدينا من التواريخ نبأٌ آخر عن الشيخ عمر الَّا ما كتبهُ المرادي في سلك الدرر في ترجمة عمر الظاهر وهو يريد بهِ الكلام عن ظاهر العمر لا عن ابيهِ

وقد اختلف الرواة في تاريخ مولد ظاهر فقال المرادي انهُ ولد سنة ١١٠٦ ه (١٦٩٥) وان اسمهُ ظاهر اذا حُسب بالجمَّل وافق ذلك التاريخ وقال ڤولناي ان مولدهُ كان سنة

١٦٨٦ وذلك انهُ روي ان في سنة ١٧٤٩ كان عمرهُ ٦٣ سنة وفي سنة ١٧٧٦ بلغ التسعين. وقول ڤولناي هذا اقرب الى الحقيقة لما عرفنا من ان ظاهرًا تولّى مكان ابيهِ حوالي سنة ١٧٠٦ وهو في السنة العشرين من عمرهِ

قيل ان اعداء ظاهر كانوا يعيرونهُ برعي الجمال وسوقها ايام حداثتهِ مع ان الرجل من بيتٍ عريق في الوجاهة والحكم في تلك الديار وكانت لآبائهِ من قبلهِ الصولة والمكانة في طول فلسطين وعرضها ولكن هب صدق القائلون بضعة منشإِهِ فليس من العار بل من الفخر ان ينهض العصامي بنفسهِ الى ذروة السؤْدد . وان صحَّ ما رموهُ بهِ من سوق الجمال فتلك احدى خصال العرب الاّ تشغلهم الامارة ببهارجها عن النظر في شؤُونهم الخاصة وليس غريبًا ان يكون ظاهر قد اخشوشن في صباهُ ولم يسترسل الى نعيم الحضارة والترف الا تراهُ كيف ظلَّ ممتّعًا بالقوة والحنكة حتى قُتل في التسعين من عمرهِ

والمستفاد من رواية الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ المخطوط ان ظاهرًا تولى عكاء في حياة ابيهِ عمر ومما يؤَيد ذلك عبارة للمرحوم نوفل في تاريخهِ المخطوط ايضًا حتى انهُ اذا صحَّ القول بذلك كان بدءُ استعمالهِ منذ حداثتهِ بحيث كان قد قضى ايام الصبا متأهبًا للظهور الفخيم الذي برز بهِ ايام ولايتهِ

ولسنا في موقفٍ نستطيع الجزم بهِ في تاريخ بدء استعمالهِ ولكننا نخمن ذلك تخمينًا ربما يقرب الى الواقع فقد علمنا ان الامير بشيرًا اقرَّ عمر على عمالة صفد سنة ١٣٠٢ ( او سنة ١١١٤ على ما قال المرحوم نوفل ) فلا غرابة ان يكون الشيخ عمر قد استعمل ابنهُ ظاهرًا على عكاء وهي يومئذٍ من تابعات صفد فاقرَّهُ الامير بشير عليها لانها من عمالة ابيهِ وبما ان الامير بشيرًا توفي سنة ١٧٠٦ فابتداءُ استعمال ظاهر واقع بين سنة ١٧٠٢ وسنة ١٧٠٦ فلما مات ابوهُ في خلال تلك السنين بقي ظاهر ناهضًا بشؤُون العمالة يشاركهُ في ذلك عمهُ واخواهُ مشاركةً قال بها ڤولناي صراحةً ونوَّه بها المرادي تنويهًا الاَّ انها ليست على الارجح من قبيل الاشتراك على العمل الواحد بل ربما هي اشتراكهم جميعًا على اقتسام الحكم في البلاد التي كانت لعمر بل لا يبعد ان يكونوا قائلين بذلك الاقتسام والحكم في زمن عمر ذاتهِ بدليل وجود الظاهر يومئذٍ في عكاء

غير ان صفد كانت ام البلاد والحكم فيها لكبير الاسرة ولذلك افضت حكومتها بعد موت عمر لابنهِ ظاهر فاقام ثمة يديرها وقضى حينًا من الدهر في تسديد شؤُونها الاَّ انا لم نعثر على شيءٍ من اخبارهِ فيها منذ تولاَّها ولا عرفنا شأن اخويهِ وعمهِ في عمالاتهم ولا موضع تلك

العمالات وانما عرفنا ان احد ولاة الشام قبض على الشيخ مصطفى الزيداني اخي ظاهر وشنقهُ في دمشق وان الباشا تجهَّز للزحف على ظاهر العمر ولذلك اهتمَّ هذا بتحصين طبريَّة وقد رآهُ الرحالة بوكوك Bococke يحصّنها سنة ١٧٣٧

فكأن آل زيدان كانوا قد بدأُوا في استعداء عمَّال الدولة واستحقوا بنشوزهم التنكيل بهم والأَلما اقدم الوالي على قتل احدهم والتحفز للاخر بيد انَّا لم نعثر على شيءٍ نستكشف منهُ حقيقة الحال فان المرادي يقول في سلك الدرر ان الوالي سليمان باشا العظم جهز عليهِ عسكرًا وركب عليهِ بعد ان قبض على اخيهِ مصطفى الزيداني وشنقهُ بدمشق فلما وصل الوزير المرقوم الى قرب عكاء بقصد حصارهِ رشا عليهِ بعض اتباعهِ فادخل عليهِ السم في طعامهِ فمات وجيء بهِ الى دمشق ميتاً شهيدًا . اما ڤولناي فيذهب الى ان والي الشام ( ولم يسمّهِ ) قتل الشيخ مصطفى وتجنَّز على ظاهر العمر فحصّن هذا مدينة طبرية قال وفي سنة ١٧٤٢ حاصرهُ فيها سليمان باشا العظم واطلق على المدينة القنابل فاندهش السور بون وانهم حتى اليوم لا يعرفون القنابل الَّا قليلاً اما ظاهر فلم تجدهِ شجاعتهُ نفعاً ولكن فاجأَ الباشا قولنج شديد افضى الى موتهِ بعد يومين وقيل ان ذلك كان باسباب مدبرة فنجا ظاهر منهُ اه . قلت ان الروايتين تختلفان في اسم الوالي والموضع والذي نعرفهُ ان سليمان باشا العظم تولى دمشق مرتين الاولى سنة ١١٤٦ه الى سنة ١١٥١ والثانية من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٥٦ اما سنة ١٧٤٢ التي ذكر ڤولناي وقوع الحرب فيها فتعادل سنة ١١٥٥ وهي آخر سني ولايتهِ فروايتهُ اصح والله اعلم

ورأى ظاهر بعد نجاتهِ من مخالب القوة ان الجوّ قد خلا لهُ بوفاة سليمان باشا العظم لاسيما وان اسعد باشا الذي خلف اخاهُ على ولاية الشام لم يقدم على عدائهِ ولا تمحَّل سبباً لقتالهِ برأي ظاهر فعزم على ترسيخ قدمهِ في حكومتهِ

وكان يشاركهُ في السيادة والامر اخواهُ وعمهُ كما قلنا ولم يكن اتفاقهم محكمًا ولا حالت القربى القريبة دون اختلافهم ونهوضهم المرة بعد الاخرى لامتشاق الحسام ولذلك عزم ظاهر بعد مقتل اخيهِ مصطفى ان يتخلَّص من عمهِ واخيهِ الآخر بحيث يخلو لهُ جوّ الامارة فقتلهما واصبح الآمر الناهي في طول بلادهِ وعرضها وكان ذلك مدعاةً لطموح نظرهِ الى البعيد

ولقد كان من عادة الكثيرين من الامراء والحكام في الشرق ان يتخذوا امارتهم سبيلاً لحصر التجارة بين ايديهم وحظر مواردها عن محكوميهم فجرى ظاهر العمر على نهجهم واتسعت لذلك موارد ثروتهِ الَّا انهُ رأى ان مقامهُ في داخلية فلسطين مقلٌّ من استثمار تجارتهِ فرغب في احد الثغور مركزًا يستطيع منهُ الاتجار بحرًا وبرًّا حيث يزدحم تجار الوطن والافرنج وتروج سوق بضائعهِ

وعكاءُ واقعة في جوارهِ وقد كانت في بدء حكومتهِ من عمالتهِ وهي ذات سوق تجارية كبيرة وقد كان فيها جماعة من التجار الفرنسويين ولهُ معهم صلة تجاريَّة فاختارها مركزًا

ولرب معترضٍ يقول عهدنا عكاء من قبل في ولاية ظاهر العمر فما بالهُ الآن يتطلبها وكيف خرجت من حكمهِ اقول ان ليس في ما لدينا من التواريخ من نبإٍ صريح عن ذلك انما علمنا ان والي صيداء كان قد انعم بحكم تلك البلاد على الامير بشير الشهابي وهو الذي اقرَّ ظاهرًا واباهُ من قبلهِ على حكمها فلما عُزل ارسلان باشا عن صيداء وتولاَّها اخوهُ بشير باشا عزل الامير الشهابي عن المقاطعات المضافة اليهِ بامر اخيهِ فخرج بذلك حكم عكاء من يد ظاهر العمر ولكن عينهُ بقيت طامحةً اليها كما مرَّ

وكان والي صيداء قد اقام في عكاء حامية ضعيفة تحت امرة احد رجالهِ والمدينة يومئذٍ ليست بذات منعةٍ ولا هي غير قريةٍ حقيرة لا يسكنها الاَّ قليل من الناس اما جوارها فكان كالبادية القفراء مسرحًا لقبائل البدو ولم يكن حولها شيءٌ من الحدائق الغناء التي تزدهي بها لهذا الحين لان الاهلين لم يكونوا يجسرون على الخروج منها ولا كانت حاميتهم ذات قوة لتذود عنهم ولذلك كانت المياه التي حواليها تذهب ضياعًا وتتسرب في جوارها مفسدةً هواءها اما ميناؤُها فكان معطلاً بتراكم التراب فيهِ انما ظل ميناء جارتها حيفا اللاحقة بها صالحًا للتجارة

وكان ظاهر يتحيَّن الفرص للاستيلاء على عكاء لا بالوسائل المشروعة من استمالة والي صيداء والتزامها بل اغتصابًا حتى ارادت الحكومة الزحف عليهِ لكبتهِ وانزلت الذخائر والمؤَن الى البر من ميناء حيفا فرأَى ان الوقت قد حان لامتلاك عكاء وما اليها فسار نحوها وكتب الى حاكمها يتهددهُ فلما علم الحاكم بزحفهِ ولم يكن مقتدرًا على الثبات تلقاء حملتهِ خرج من المدينة بسريتهِ ولم يلوِ على شيءٍ فدخلها ظاهر ظافرًا بها من غير قتال سنة ١٧٤٩

الاَّ انهُ لم يفتهُ العلم بعجزهِ عن مناوأَة الوالي فرأَى ان يسترضيهُ بالهبات الوافرة وان يثبت لديهِ ان عملهُ لم يكن خروجًا وانما هو من قبيل العداء الشخصي للاغا الذي كان على حامية عكاء واسترحم في خلال ذلك ان يقرَّهُ الوالي على عكاء وهو يؤَدي مالها اليهِ فارتضى الوالي منهُ بذلك وانهى لباب الدولة وما عتَّم ان وردت الاوامر السلطانية بتقريرهِ

الاَّ ان ظاهرًا لم يستنم للايام بل احتسب للدهر واذ رأَى ان عكاء لا تصلح للحصار اراد تحصينها ولكنهُ خاف من ظهور فعلتهِ فعدل الى الحيلة والتمويه اذ بدأَ سنة ١٧٥٠ في بناء عظيم سماهُ قصرًا لسكنهِ ولكنهُ جعلهُ حصنًا منيعًا عند البحر الى شمالي المدينة ثم ملأَهُ بالمدافع والذخائر ولما لم يجد في سبيلهِ عثرةً بدأَ ببناء الابراج على شاطيء البحر وعززها بالسلاح ثم

احاط المدينة بسورٍ ولم يترك لها الَّا بابين فيهِ

ولما استوثق من مناعة مركزهِ رأَى ان يصلح شؤُون بلادهِ فبدأَ في ابعاد العربان من جوار عكاء ولقي في ذلك اشد العناء الَّا انهُ كان يسعى لغرضهِ تارة بالهبات والصلات وطورًا بالغارات والغزوات حتى فاز بما اراد وانقذ الحضر من اعتدائهم وامَّن البلاد فاصبح الفلاَّح يزرع ويحصد من غير ان يلحق بهِ حيف وما مضى على هذا الامن الزمن الطويل حتى ذاق القوم طعم الخصب والنماء فتكاثر الاهلون وازدحموا مهاجرين الى تلك الارجاء من اقصى بلاد الشام وفيهم المسلم والمسيحي فاقاموا ثمة يعملون آمنين لانهم لقوا منهُ اهتمامًا بشؤُونهم وتساهلاً في مراعاة عقائدهم ما لم يكن مأْلوفًا في ذلك الحين

وكانت قبرص في تلك الآونة تشكو الاضطراب والخلل وجور الحاكم القاسي فبرحها جمهور من ابنائها واخص منهم اليونان وقصدوا عكاء وما اليها واقاموا ثمة على الرحب والسعة فشرعوا يغرسون حوالي عكاء الحدائق الغناء وما عتَّم ان توافد الى البلد بعض تجار الفرنجة فاقاموا فيها وبهذه الوسائل الفعَّالة تحسنت البلدة وجوارها ونفضت عنها غبار الاهمال الذي لحق بها عقيب زهوها القديم

ورأَى الشيخ ظاهر ان يسعى في زيادة قوتهِ فازوج بنيهِ من بنات امراء العربان الذين في جوارهِ فاشتدَّ ازرهُ بهم حاسبًا ان ولاة الشام يهابونهُ لما يرون من اشتداد ساعدهِ بمحالفة البدو وانهُ اذا حارب وانكسر لقي بين اولئك الابطال ملجأً امينًا

وليس هذا فقط بل رأَى ان قوتهُ تزداد كثيرًا بانضمام المتاولة اليهِ وكانوا يومئذٍ في سمت عزهم يبلغ جيشهم زهاء العشرة آلاف فارس من الابطال المجربين ولهم حكم بلاد بشارة ومدينة صور وقد ارتفعت عنهم طاعة ولاة لبنان فتمادوا في سلطتهم حتى كانوا يغيرون على اطراف ولاية الشام ويمسكون المال السلطاني عن والي صيداء فوقع بينهم وبين الواليين منافرة كادت تفضي الي القتال لو لم يتدارك الشيخ ظاهر ذلك ويضمن اداء المال مما ارضى الوزيرين وكان سببًا لمصادقة المتاولة وحلفتهم

الَّا ان هذه المحالفات وتوثيق عرى المودة والوئام بين ظاهر ومجاوريهِ لم تكن لتأْتيهُ بما يريد من الراحة ورغد العيش لانهُ لما انس من بنيهِ الاقتدار على الحكم شرع يعهد اليهم بالعمالات في داخلية البلاد وكأَني بالابناء رأَوا عزة ابيهم وكثرة مواردهِ فاسرفوا في البذل حتى عجزت مواردهم عن وفاء نفقاتهم فعدلوا الى الجنف على الاهلين لابتزاز اموالهم واذا شكى هؤُلاء الى ظاهر ونَّب اولادهُ على اسرافهم وجورهم

ولا يعدم اهل الامارة قوماً من المقربين اليهم يسعون بالزلفى فلا يجدون سبيلاً اسهل عليهم من ايغار صدورهم ذلك ما وقع لابناء ظاهر فانهم اصاخوا سمعاً لمن زيَّن لهم عداء ابيهم والنشوز عليهِ فناهضوهُ وناهضهم ولكن ما لبثت الفتنة ان خمد اوارها لاشتغالهم عن مناوأة ابيهم بالتحاسد في ما بينهم ولانهم كانوا يتوقعون وفاتهُ واقتسام ميراثهِ ولكن اباهم رأي الحكمة في التمويه عليهم بعزمهِ على العهد بالولاية بعدهُ لمن يرضيهِ منهم فشرعوا يتقربون اليهِ بالطاعة والاستكانة وكأنهُ خاف مغبة اجتماعهم عليهِ فلم يسعَ لرفع الضغائن من بينهم بل تركهم في تحاسدهم

ومما قرأنا عن عقوق هؤلاء الابناء ان احدهم الشيخ عثمان لما عصى اباهُ غلبهُ هذا واعتقلهُ حيناً من الدهر حتى رأى لهُ مهرباً ففرَّ الى حمى الامير منصور الشهابي حاكم لبنان (سنة ١١٨٠ هـ الموافقة سنة ١٧٦٦ م) وكان عثمان هذا شاعراً لبيباً فانشأ قصيدةً عامرة الابيات يعارض فيها معلقة عنترة العبسي ومطلعها

كم غادر الشعراء من متردمِ وعرفتَ ربع الدار قبل توهمِ
ومنها فسيعلمون اذا اصطلى لهب الوغى يوماً واحجم عنهُ كل مقدمِ
وسيفقدونني ان تعاظم حادثٌ فقد الهلال بصدر ليلٍ مظلمِ

الاَّ ان ظاهراً لم يكتفِ بما نال من العظمة والسؤدد بل حدثتهُ نفسهُ ان يضرب صفحاً عن الالتزام الذي يحتاج الى تجديدهِ في كل سنةٍ من ولاة الدولة بان ينال من الباب السلطاني لقب شيخ عكاء وامير الامراء والحاكم في الناصرة وطبريَّة وصفد وكل الجليل فالتمس ذلك سنة ١٧٦٨ واستعمل لنيل بغيتهِ كل الذرائع الممكنة في ذلك الحين ففاز بما اراد

غير ان الدولة العلية لم تنعم عليهِ باجابة سؤلهِ الاَّ وهي تقصد امهالهُ ريثما يتسنى لها التفرغ لمعاقبتهِ على غرورهِ لا سيما وانها كانت واجدةً عليهِ اشياء كثيرة منها ان انصارهُ عرب بني صخر كانوا قد اغاروا على الجردة وسلبوها وقتلوا كثيرين من الحجاج وهم راجعون الى الشام ايام ولاية حسين باشا ابن مكي وحملوا اسلابهم فباعوها في عكاء حيث لم يجدوا من ظاهر مانعاً ومنها ان بعض قرصان مالطة كانوا يأتون بسفنهم الى البحر المتوسط فينهبون ويسلبون ويجيئون بغنائمهم الى عكاء فيبيعونها وهم آمنون فلما اتصل ذلك بعلم الدولة العليَّة سألت ظاهراً فتنصل من الامر ثم اعرض ان ميناء حيفا عاطل من السلاح فلو بني بها حصن لامنت الدولة جانب البحر هنالك وامتنع المالطيون عن النزول الى البر منهُ فصدر امر الدولة ببناء الحصن على نفقتها وتعزيزهِ بالمدافع والذخيرة فلما تمَّ بناؤُهُ عاد ظاهر فهدمهُ وحمل المدافع التي كانت فيهِ الى عكاء

وحان عند الدولة وقت الاقتصاص من ظاهر ورأت برجلها الباسل صادق عثمان باشا

مناظرًا عنيدًا للشيخ الشجاع فولتهُ دمشق سنة ١٧٦٠ ( ١١٧٤ هـ ) وزادتهُ صولاً باستعمال ولديهِ في طرابلس وصيداء وضم القدس وفلسطين الى عمالتهِ فما قبض على ازمة الولاية حتى شرع يناوئ ظاهرًا اذ امر ان تكون بعض المقاطعات من ملحقات ولايتهِ فلما عارضهُ ظاهر توعدهُ هذا بالقتال ولبث الامر بينهما مستورًا كالنار تحت الرماد

وكأن ظاهرًا لم يدرِ بما خبأ لهُ القدر فانشغل بمحاصرة اثنين من بنيهِ في احد المعاقل وفي ما هو باذل قصاراهُ لكبتهما وردهُ كتاب من احد جواسيسهِ بدار السعادة ينذرهُ بقرب الحرب لان الدولة انما انعمت عليهِ بما طلب تغريرًا وان عثمان باشا يخرج من دمشق متظاهرًا بطوافهِ في عمالتهِ ( الدورة السنوية ) لتحصيل المال من بلاد نابلس وهو انما يقصد اخذهُ على غرةٍ وكان ظاهر قد علم بخروج الباشا من دمشق فعلم ساعتئذٍ ما وراء الاكمة وكفَّ عن الحصار وبعث برسولٍ الى ولديهِ المحصورين يأمرهما بالاهبة لمجيئهِ للعشاء معهما فلما اجتمعوا اطلعهما على ما كان فائتمروا مليًّا واقروا على السير جميعًا للقاء الباشا الَّا ان ابنهُ الاكبر الشيخ عليًّا اعترض على ذلك بتعذّر كتمان مسيرهم جيشًا واحدًا وان اخبارهم اذا اتصلت بالوالي سعى للحال في التهيء لهم ففاتهم ما يريدون من مفاجأتهِ ولذلك فهو يرى ان يسير عليهِ في خمسمائة فارس يأتونهُ على غرةٍ فيفتكون بهِ ويكون سائر الجيش من وراء ظهرهِ فصدَّق ظاهر على ذلك وافرز لهُ السريَّة التي طلبها فركب بها من ساعتهِ ومشى طول ذلك الليل حتى اذا لاح النهار اختبأ بمن معهُ ولما جنَّ الليل نهض بهم مجدًّا حتى ادركوا عسكر الباشا عند الفجر فاغار عليٌّ عليهم وهم نيامٌ لا حراس عليهم وشرع يفتك بهم ذريعًا حتى وقع الهرج في العسكر فولَّى الادبار وخرج الباشا من مضربهِ بلباس النوم فدخلهُ القوم ونهبوا ما فيهِ من المتاع ومن جملة ذلك الفرمان الصادر لظاهر العمر واولادهِ

هذه كانت بدء شعلة الحرب الهائلة التي طالت وامتدَّت وكانت نتائجها على الاكثر ظفر ظاهر العمر وقومهِ حتى دبّت عقارب سعايتهِ الى بعض المدائن المجاورة او كان بنجاحهِ بمحاربة الوالي محرضًا لغيرهِ على الثورة فصادفت تلك البواعث موجدةً في نفوس الاهلين على الوالي لانهُ احرجهم باستنزاف اموالهم فاخرجهم عن الطاعة جملةً فكانت الرملة اول بلدةٍ خرجت عن طاعتهِ وتلتها بعد سنتين مدينة غزة ثم يافا وما لبث روح الثورة ان امتدَّ في كل انحاء فلسطين

ورأى ظاهر ذلك فعزم ان يغتنم الفرصة السانحة ليس بالاعتماد على قوة الاهلين لانهم لم يكونوا اكفاء للوالي سيما بعد ان حشد جيشًا جرارًا من العربان والعشائر واتفق مع امراء الشوف بل بمخابرة امراء مصر ورأسهم لذلك العهد الامير علي بك كما سيجيء

جرجي يني

# نوادر التزوير

يمو الشر حيث ينمو الخير وينع الطلاح حيث يينع الصلاح كالاعشاب البريَّة اذا تُركت بين الاعشاب البستانيَّة . لكن العمران متجه الى استئصال الشرور كما ان الفلاحة متجهة الى استئصال الاعشاب الضارَّة . وقد اطَّلعنا الآن على نوادر في التزوير جرت في فرنسا وانكلترا وفي عاصمتيهما على غفلة من العيون والارصاد مع ما هو مشهور من مهارة البصَّاصين في تينك المدينتين وعن ارتقاء المدنيَّة فيهما فعرَّبناها عن مجلة لندن التي قرأناها فيها عسى ان يزيد من يطالعها حذرًا فلا يقع في اشراك المزورين

(١)

اعلنت صحيفة الماتن وصحيفة البتي جورنال منذ بضع سنوات ان جلالة ماري الاول ملك سدانج عزم على زيارة باريس وان سدانج جزيرة شرقي بلاد الصين حفظ ملكها استقلالهُ رغمًا عن جشع الشعب الانكليزي ولذلك سيلقى مزيد الحفاوة في عاصمة الامة الفرنسويَّة

ثم اقبل جلالتهُ الى مدينة باريس ومعهُ حاشية كبيرة من الوزراء والخدم والحشم ونزل في احد فنادقها الشهيرة

وبعد ايام اخذت الرسائل ترد اليهِ من بلادهِ وعليها طوابع غريبة الشكل والنقش فاهتمَّ بها جامعو طوابع البريد ورشوا خدَّام الفندق ليجمعوها لهم فارتفع ثمنها حالاً بانتقالها من واحد الى آخر حتى صار الطابع منها يباع بالف فرنك . وذُكر ذلك في جرائد باريس وانتشر امرهُ في البلاد فجعل جامعو الطوابع في كل انحاء فرنسا يطلبونها بكل مرتخص وغالٍ . وطلب رجل من كبار الجامعين مقابلة الملك فقابلهُ بالاحتفاء ولما خرج من لدنهُ قابلهُ احد وزرائهِ وقال لهُ انهُ يمكننا ان نحصر بيع طوابعنا بك اذا دفعت الينا مبلغًا كافيًا من المال فرضي الرجل بذلك وتمَّ الاتفاق بينهما على المبلغ المطلوب فدفعهُ . ثم اسرَّ الوزير في اذنهِ قائلاً ان عندي مجموعًا كاملاً فيهِ من كل طوابع بلادي احضرتهُ معي سرًّا وانا ارضى ببيعهِ على شرط ان لا يدري مولاي بذلك والاَّ ضرب عنقي . فابتاعهُ الرجل ايضًا بمبلغ طائل من المال . وكثرت طوابع سدانج بين ايدي الناس وتدفَّقت منها الاموال الى خزينة ملكها . ثم كتب ولد من اولاد المدارس الى احدى الجرائد يسألها اين موقع سدانج فانهُ لم يجدها في الخرائط ولا في كتب الجغرافية واتَّضح حينئذٍ ان البلاد غير موجودة وان الفعلة كلها تزوير في تزوير من

اولها الى آخرها افتعلها بعض المزورين واشركوا الجرائد فيها. ووقف الناس حيارى يضحك بعضهم على بعض وامثال ذلك كثيرة في بلادهم

## ( ٢ )

قام جماعة من المزورين من اميركا سنة ١٨٧١ قاصدين مدينة لندن ليسلبوا بنكها بتزوير اوراقهِ او بتزوير التحاويل عليهِ فطافوا اولاً في مدن اوربا ومعهم مكاتيب تواصي ( كردت ) مزورة وسلبوا منها مبالغ طائلة واتوا الى لندن وفتح رئيسهم واسمهُ بدول محلاً تجاريًّا وجعل رفاقهُ يرسلون التحاويل عليهِ ويقطعونها من فرع من فروع بنك لندن وهو يدفع قيمتها ثم تمكن من اخذ تحويل بمبلغ ٤٥٠٠ جنيه بامضاء رشيلد وصرفهُ من البنك زاعمًا انهُ جاء انكلترا ليصنع فيها كثيرًا من مركبات سكك الحديد المعروفة بمركبات بلمن. وتلا ذلك تقديم التحاويل المزورة الى البنك والبنك يصرفها حتى بلغت قيمتها ١٠٢٢١٧ جنيهًا وكانت الاموال تسحب اوراقًا وتصرف ذهبًا ثم تبدل اوراقًا حتى يتعذَّر اقتفاؤُها

واتفق ان هذا الرجل نسي ان يضع التاريخ على تحويلين من تلك التحاويل المزورة باسم رشيلد فأُرسل التحويلان الى بنك رشيلد ليوضع التاريخ عليهما فعُلِم انهما مزوران وأُخبر رجال البوليس بذلك حالاً فاهتدوا الى واحد من اولئك المزورين واستدلوا منهُ على بقيَّة رفاقهِ فحكم عليهم كلهم بالاشغال الشاقة مدى العمر

## ( ٣ )

أُشيع في اواخر سنة ١٩٠٠ ان بلاد فنلندا الخاضعة لروسيا انفت من زوال استقلالها وعزمت ان تظهر اول علامة من علامات الاستقلال وذلك بعمل طوابع بريد خاصَّة بها. وانتشرت هذه الاشاعة اولاً في جرائد طوابع البريد ثم انتقلت منها الى غيرها من الصحف فصدقها الجامعون وانتظروا انتشار الطوابع بذاهب الصبر فانتشرت وتداولتها الايدي وكانت سوداء اللون وعليها شعار فنلندا وفي اعلاها كلمة سومي وفي اسفلها كلمة فنلند بحروف بيضاء . ولكن لم يمضِ الاَّ قليل حتى ظهر ان تلك الطوابع مزورة كلها وان فنلندا لم تصدر شيئًا منها ولا كانت تدري بها لان روسيا منعتها من اصدار طوابع البريد منذ عهد طويل

## ( ٤ )

ان اوراق البنك الانكليزي تصنع على اسلوب خاص بها لا يزال سرًّا غامضًا وهي ارق من احد طرفيها منها من الطرف الآخر وعليها علامات شفَّافة يتعذَّر تقليدها . وحبرُها الاسود

وتنفق حكومة فرنسا على التعليم العمومي ٢٠٩ ملايين فرنك كل سنة او نحو ثمانية ملايين ونصف من الجنيهات عدا ما ينفقهُ الاهالي على تعليم اولادهم

ونفقات نظارة المعارف في ايطاليا وهي افقر ممالك اوربا الكبيرة مليونان وسبع مئة واربعون الف جنيه ولو انفق القطر المصري على نسبتها لوجب ان تكون ميزانيَّة نظارة المعارف تسع مئة الف جنيه في السنة

اما العلوم التي تعلَّم في المدارس الجامعة فهي في الغالب عشرون علمًا اصليَّة عدا العلوم الفرعية وهاك بيانها مرتبة على حروف المعجم

(١) الاركيولوجيا وهو عا الازمنة الغابرة كما يستدلُّ عليها من آثار الانسان الباقية الى الآن في اطلال مدنهِ واشكال مبانيهِ

(٢) الاقتصاد السياسي وهو البحث عن حقيقة المال وشرائع تحصيلهِ وتوزيعهِ واستثمارهِ وكيفيَّة نجاح الامم

(٣) والتاريخ وهو معرفة اهم الحوادث الماضية وما يستفاد منها من الاختبار

(٤) والتشريح وهو علم بناء اعضاء الجسد وما تتألَّف منهُ كما يعلم من تشريحها

(٥) وعلم التعليم وهو علم الاساليب والوسائل الذي يجري عليها المعلمون لتثقيف عقول التلامذة ومساعدتها على ادراك الحقائق العلميَّة

(٦) والجيولوجيا وهو علم طبقات الارض اي تاريخ الحوادث التي حدثت فيها بالنسبة الى حالها الحاضرة واسباب تلك الحوادث ونتائجها

(٧) وعلم الحيوان وهو درس طبائع الحيوان من ادنى انواع الاميبا الى اعلى انواع ذوات الثدي

(٨) وعلم الرياضيات وهو يشمل علم الجبر والهندسة وحساب المثلثات ومبادىء المساحة والقطوع المخروطية وحساب التفاضل والتكامل

(٩) وعلم الطبيعات وهو يبحث عن خواص الاجسام الطبيعيَّة من حيث البناء والثقل والمرونة وعن القوى الطبيعيَّة اي النور والحرارة والكهربائيَّة وعن كل شيء طبيعي ما عدا الحياة والعقل

(١٠) والفسيولوجيا وهي علم وظائف اعضاء الجسد

(١١) والفلسفة الادبيَّة والسياسية وهي تبحث عن اخلاق الانسان الادبيَّة ونسبتهِ اي غيرهِ من ابناء نوعهِ من حيث ما يطلب منهُ لهم وما يطلب لهُ منهم

(١٢) الفلسفة العقلية وهي اسمى فرع من فروع البيولوجيا اي علم الحياة تبحث عن العقل وقواهُ وافعالهِ . وعليها يتوقف نجاح علم التعليم

(١٣) الفلك وهو يبحث عن نسبة الارض الى الاجرام السموية ونسبة هذه الاجرام بعضها الى بعض

(١٤) والفيلولوجيا او علم اللغات وهو يبحث عن كيفية اشتقاق اللغات بعضها من بعض ويتطرَّق الى حل رموز اللغات القديمة كالمصرية والاشورية

(١٥) والكيمياء وهي تبحث عن عناصر الاجسام وتراكيبها وخواصها وفعلها بعضها ببعض

(١٦) وعلم المعادن وهو يبحث عن معادن الارض واماكن وجودها وكيفية اكتشافها واستخراجها

(١٧) المتيورولوجيا وهي تبحث عن اسباب الاحداث الجويَّة كعصف الرياح ووقوع المطر وحدوث البرق والرعد وما اشبه

(١٨) والمنطق وهو علم الاستدلال او صناعة الاستدلال بالمقدمات على النتائج

(١٩) والنبات وهو علم بناء النباتات وطبائعها ووظائف اعضائها

(٢٠) والهيجين وهو علم حفظ الصحة وما يلزم لهُ

هذا عدا اللغات والعلوم اللغويَّة وعدا التمرُّن على الانشاء والخطابة والمذاكرة والرياضة البدنية وما اشبه

هذه علوم القسم العلمي ولكن المدارس الجامعة لا تقتصر عليهِ بل تضيف اليهِ الاقسام التكميلية العملية كالطب والحقوق والهندسة والزراعة والتجارة ولكلٍ منها فروع شتى وعلوم مختلفة لا بدَّ منها . فاذا اريد انشاء مدرسة جامعة في هذا القطر وجب ان تعدَّ لها نفقات سنويَّة لا تقلُّ عن عشرين الف جنيه لكي تكون مثل اقل المدارس الالمانية الجامعة

واذا وجد المال اللازم يبقى ما لا يقلُّ عنهُ لزوماً وهو وجود الاساتذة الاكفاء وفي اي لغة يعلمون . اما الاساتذة فلا بدَّ من ان يكونوا مختلطين في اول الامر من الاجانب والوطنيين واما لغة التعليم فلا بدَّ من ان تكون العربيَّة اذا اريد ان تبقى حيَّة وان تجاري لغات الاوربيين لان العلم من اقوى دعائم اللغة . وهذا لا ينفي تعلُّم اللغات الاوربيَّة وتعلُّم بعض العلوم بها اذا كان اساتذتها لا يستطيعون القاءها بالعربيَّة

# التصوُّف

قال افلاطون الحكيم "عالَم الكون والفساد شبيه بمغارة مظلمة بعيدة المهوى وفي اعلاها طاق يدخل اليها منهُ شيءٌ من الضياءِ فما قرب من الطاق اضوأُ مما بعُد عنهُ . وفيها جماعة يبيعون ويشترون ويتعاشرون قد انسوا بظلمتها واستعملوا مقاييس لنقودهم اكثرها فاسد فتطلعت نفس واحد من تلك المغارة الى الصعود الى موضع الضوء والتماس ما يبعثهُ فصعد حتى قرب من الطاق وكانت معهُ دنانير ودراهم مما يستجيدونهُ في المغارة ويجري عندهم مجرى ما ارتفع الريب فيهِ فتأملها حيث انتهى بهِ الصعود فوجد بعضها جيدًا وبعضها رديئًا فميز رديئها من جيدها ونزل الى المغارة فعرض الجياد على نقّاد المغارة فاعترفوا بجودتها فاخرج اليهم الرديئة وسأَلهم عنها فاستجهلوهُ وقالوا ما بين الاولى والثانية فرقٌ . فضحك منهم وقال لهم ما اشك في انها رديئة فقالوا كيف هذا وما دليلك عليهِ فقال رأَيتها في هذا الضياء واومأَ بيدهِ اليهِ. فاستثقل المستوطن للمغارة مقالهُ واخذ في الردّ عليهِ وكذّبهُ ونازعهُ قوم فشرعوا يصعدون الى الضياء فمنهم من شقّ عليهِ الصعود فرجع ومنهم من صار معهُ الى موضعهِ فصدَّقهُ فصاروا فيما يتعاملون بهِ ثلاثة اصناف رجل لم يُفكر فيما جاءَ بهِ الصاعد واقام على ما جرى عليهِ سلفهُ غير مرتاب بشيءٍ من تلك النقود وهم اصحاب التقليد الساكنون الى ما أُمروا بهِ وآخرون ينازعون الصاعد وهم اصحاب الجدَل الذين ضعفوا عن الرياضة وقووا على المنازعة وآخرون قد وافقوا الصاعد بما شاهدوهُ معهُ وهم خدم العقل الذين رقوا اليهِ بالمقدمات والنتائج وهاجروا في طلب المعقولات ولم يستثقلوا البحث عن الحقائق"

هذه الحكمة تنطبق على كثير من حقائق العلم والعالَم وما اقلّ اهل الفئة الثالثة من خدمة العقل الذين ركبوا كل صعب وذلول للوقوف على الحقائق اما الفئتان الاوليان فهما كالانعام السائمة وما حظهم من إمتاع النظر بنور الحق الاَّ حظ اتباع ابيقورس اليوناني القاضي بان لا عمل للانسان في هذه الحياة الاَّ الاكل والشرب والنوم والملاذّ اما العقل فلغو لافائدة فيهِ

ومن العجيب انك قلما ترى فئة من الخلق الاَّ راضية بما أُتيح لها من اقتباس قبَس من هذا النور واهل التصوُّف لم يخرجوا في ادعاء الوصول اليهِ عن الحد الذي جرى عليهِ جميع اهل الملل والنحل قديمًا وحديثًا . ولقد اختلفت الآراءُ في الحكم على اهل هذه النحلة لما رأوا ان معظم كتبهم ضرب من المعميات والطلسمات مبنية على ما يخالف الحسّ ويناقض القواعد المألوفة حتى سماهُ بعض الافرنج "العلم الخفي" لان اقوالهم تفسر بالاذواق وهي مما لا جدال

في اختلافها وهاءَنذا آتي على طرف من تاريخ التصوُّف واهلهِ استمدها من اسفار الثقات

قال السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ ” ان سبب تسميتهم بالصوفية لبسهم الصوف او لأنهم لما آثروا من الانكسار كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية او لانهم في الصف الاول بين يدي الله عزَّ وجل او ان الاصل في اسمهم صفوي او نسبة الى الصُّفة — وهو موضع مقتطع من مسجد النبي مظلل عليهِ كان الاوفاض والاخلاط من الفقراء يأوون اليهِ — قال ولم يعرف هذا الاسم الى المائتين من الهجرة العربية ..... ثمَّ لما تقادم زمان الرسالة ونأى عهد النبوة وكدر شرب العلوم شوب الاهواء وتزعزعت ابنية اليقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكشف حجابها وكثرت العادات وتملكت اربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها تفردت طائفة بأعمال صالحة واحوال سنية وصدق في العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون اخرى اسوة بأَهل الصفة تاركين للاسباب متبتلين الى رب الارباب “

وقال السيد عبد الحميد الزهراوي من المتأَخرين ” التصوف لفظ ينتحلهُ اسمًا لمعارفهم ناس خلطوا اذ بحثوا في الفلسفة الالهية بين ايراد كلام الفلاسفة الالهيين من القدماء وبين الشواهد القرآنية وامثالها من الكلم النبوية . واخترعوا اصطلاحات صرفوا بها الالفاظ اللغوية عما وضعت لهُ صرفًا لم يراعوا فيهِ العلاقة العربية والقرائن الدالة . ولا نقدر ان نعين اول من كتب بهذه اللغة على هذا النحو ولكننا نعلم انهُ بعد ان دونت فيهِ الكتب غلا فيها اهلهُ واغرقوا في التأويل وصرف الالفاظ فعبثوا بالفلسفة والدين معًا . وكذلك ينتحلهُ اسمًا لعاداتهم وعباداتهم المخصوصة ناس آخرون اقتبسوا شيئًا من كلام الذين سلف ذكرهم وشيئًا من كتب السير والمناقب واخترعوا اشياءَ أُخر وأَطلقوا هذا اللفظ على الملفق من الجميع وربما أُحبَّ هؤلاء ان يُطلقوا على انفسهم اسم الفقراء ثم ابدلوا هذا الاسم باسم دراويش لغلبة العجمة على القوم “

وانت ترى بين كلام المتقدم وكلام المتأَخر فرقًا طفيفًا في التعبير عن حال المتصوفة وان كان الاول معتقدًا والثاني منتقدًا على ما يظهر . ويمكن ان يقال على الجملة ان التصوف نشأ عقيب ما ثار ثائرهُ من الفتن بين اهل الاسلام في القرن الاول والثاني وغلبت المطامع على رجال سياستهِ وعندها تجافت فئة من اهل التقوى عن الدخول في غمار هذه المعامع والاشتراك في اذكاء نار الشرور فآثروا العزلة وانقطعوا الى العبادة والزهادة مثل ابي القاسم الجنيد والحسن البصري وابرهيم بن ادهم وابي يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري

وبشر الحافي واضرابهم ممن صدقوا في نسكهم وكانوا على جانب من علم السنة فلم يتعدوا مراسيم الشريعة وكانوا احسن قدوة اهتدى بها كثيرون . وما برحت الاعوام تنقضي الى ان أُلحق بهذه الفئة كل مهوّس كسلان ويظهر ان اجزاء التصوف تكاملت في القرن الخامس

ولما رجعت الامة الاسلامية القهقرى وفسدت آدابها وعلومها بتوالي الحكومات التي حكمتها بسلطان الجهل أُخذ بعض الحكام خصوصاً ملوك الطوائف يتذرعون بالمتصوفة تمويهاً على الناس واستعانة بالعامة على الخاصة بدعوى الاحتفاظ بالدين وعندها اخذ القوم يضعون التآليف في هذا الفن وتوسعت دائرتهُ بعد ضيقها والعلم كما قال ابن سينا نقطة كثَّرها الجاهلون . ثم تعددت المناحي والمنازع وان لم ينكر بعضهم على بعض شيئاً وتقاسموا بينهم المقامات السنية وادَّعوا الوصول الى العلوم اللدنية والكسبية

واختلفت الآراء في منشإِ التصوف او الفلسفة الالهية قبل الاسلام فقال قوم انهُ نشأَ في الصين واقتبسهُ مجوس الهند وعنهم اخذهُ الفرس فادخلوهُ في الاسلام لمَّا اعتنقوهُ وصبغوهُ بصبغة دينية كما دسوا كثيراً من البدع التي لم تقرّها الشريعة . على ان التصوف لا تخلو منهُ أُمة مهما كانت نحلتها وملتها وان لم تسم نفسها بهذا الاسم واليك ما قالهُ الزهراوي في هذا المعنى مخاطباً :

”يا هؤُلاء اقرأُوا شيئاً من تاريخ الامم عامة ثم تاريخ هذه الامة المحمدية خاصة يظهر لكم ان كل امة قام منها افراد قليلون صادقون بالتنسك على ما تعلموا في دينهم وتعظمهم العامة لتخليهم عن دنياهم ثم قلدهم جماعات كثيرة في الزي والاصطلاح ابتغاء رضوان العامة ورجاء ثوابهم لديهم . واقرب شاهد لديكم رهبان النصارى المتبتلون في الصوامع ففيهم الصادق في نسكهِ النظيف قلبهُ وفيهم المائن المحتال الملوَّث قلبهُ وكذلك رهبان مجوس الهند والصين ويظهر لكم ان هذه الحال لا يخلو عنها زمن من الازمنة ولا امة من الامم وان هذه الامة المحمدية طرأَ عليها ما طرأَ على غيرها من كل شيءٍ“

وجاء في مجلة المنار الاسلامي ”ان بعض المؤَرخين عدوا الصوفية من الفرق المشتقة من الاسلام المخالفة لسائر الفرق في الاصول كالمعتزلة والشيعة واهل السنة . وكيف لا وقد عاملهم فقهاءُ اهل السنة وحكامهم بأَشد ما عاملوا بهِ سائر الفرق فحكموا ببدعة بعضهم وكفَّروا كثيراً من اكابر شيوخهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ثم غلوا بعد ذلك في تعظيمهم والتسليم الاعمى لهم غلوًّا كبيراً . قال ولهم علوم كثيرة جدًّا تعلم اسماؤُها من كتاب الفتوحات المكية وانما جاءهم ذلك من الرياضات والمجاهدات النفسية والعناية بمعرفة ما انطوى عليهِ الروح الانساني من الخواص

والمزايا والقوى الادراكية والتأثيرية ومن ذلك ما يسمونهُ الكشف والامداد والتصرف بالهمة . وكل هذا من علم اسرار الكون وطبائع الخلق كالعلم بنواميس النور الكهربائي وخواصهما ولكنهُ لما جاء بصبغة دينية من رجال الدين حدث عنهُ من حط الفقهاء والحكام على اهلهِ وتكفيرهم وسفك دمائهم كما فعلوا مع الفلاسفة الذين بحثوا في بقية اسرار الخلق وصبغوا علمهم بصبغة الدين وخلطوهُ بعلم العقائد الذي سموهُ علم الكلام وكان اضطهادهم للصوفية اشد من اضطهادهم للفلاسفة كما يعلمهُ من قرأ التاريخ وما ذلك الاَّ لان علم الصوفية الغريب عن فهم الفقهاء امسُّ بالدين بل هو ثمرة التمسك بفضائل الدين وآدابهِ كما يقول عامة اصحابهِ ولذلك مزجوهُ بالقرآن والسنة مزجاً ولكن جاء بعضهُ مخالفاً لظاهر الشرع " اه

اما الدين المحمدي فلا يقرُّ شيئاً مما يقوم بهِ المدّعون للتصوُّف من الاذكار والاوراد المصطلح عليها والتبتل والسماع والرقص ورفع الاعلام وضرب الطبول واظهار الكرامات التي يزعمون مثل مسك الثعابين والحيَّات ودخول النار واكلها وبلع قطع الحديد والزجاج والآنية واستعمال السلاح لضرب البطون وإدخال المُدَى والادوات الجارحة في الافواه والحلوق اضف الى هذا ما يأخذون انفسهم بهِ من التوكل وترك السعي والعمل للمعاش والتساهل بالفروض والواجبات والوقوع في الاباحة والقول بالحلول او إجهاد النفس في التريُّض والتقشف الى غير ذلك من الحالات التي انكرها حجة الاسلام الغزالي في كتابهِ احياء علوم الدين وسماها الطامَّات وانكرها انكار كثير من علماء الاسلام وقوعَ الكرامات من الاولياء

ومن درس تاريخ الصدر الاول يتضح لهُ جلياً ان هذه الاعمال التي يأتيها اكثر المتصوفة لم تعهد زمن الرسول ولا زمن اصحابهِ وتابعيهم الى ما بعد القرن الثالث وقد رأينا خاصة المسلمين في ذينك القرنين عالمين عاملين بعيدين عن الخيالات متدينين بما رسمتهُ الشريعة بقلب سليم . عهدنا ابا ذرّ الغفاري من كبار الصحابة منفياً زمن الخلفاء الراشدين الى الرّبذة من اعمال المدينة لانهُ كان يميل الى قلة العمل والانصباب جملة واحدة على التعبد وترك الدنيا ولما شرع يدعو الى مذهبهِ أُبعد مخافة ان تسري دعوتهُ الى غيرهِ من عامة المسلمين فيصبحوا آفة على العمران والانسان

وغير نكير ان علم التصوُّف لو وقف فيهِ اهلهُ عند حدّ ادب النفس ولم يخلطوا فيهِ الفلسفة الالهية وطرفاً مما وراء الطبيعة لكان فيهِ فائدة تنجع في تهذيب الاخلاق . وقد ذهب اناس من عقلاء المسلمين والباحثين في ادوائهم ان التصوُّف علي هذا الطرز المعهود اليوم هو من جملة عوامل التخريب في جسم الامة الاسلامية وان رؤساء هذه الطائفة يقدرون ان ينفعوا بمريديهم

الاسلام كثيرًا وقد سمعت واحدًا منهم يتلهف علي إدخال الاصلاح الى هذه الطبقة من الناس ويعلق عليها آمالاً كبيرة وشواهده من التاريخ انهُ لم يعهد في المسلمين جمعيات منظمة يعمل مرؤوسوها باوامر رؤوسها الاَّ هذه الطرق وان بعض الملوك قديمًا تذرعوا بمشيخة الطرق على عهدهم فاستخدموهم ومريديهم في اقامة حكومات كبيرة وتوفقوا الى ذلك كل التوفيق. هذا ما سمعتهُ مرارًا من فم ذاك العلامة اثبتهُ للقراء غير جارح ولا معدّل . ولعلَّ فئة من الكتاب تتفضل بنقد ما سطرتهُ والله حسبي

بحّاث دمشقي

---

# الحياة كلها جهاد

تعب كلها الحياة وما اعجب الامن راغب في ازديادِ

ليس هذا معنى مخترعًا انشأهُ التخيل وانتجهُ الغوص في تطلاب المعاني وانما هو معنى لا تغيب عن العين شهاداتهُ ولا تتوارى عن الحس حالاتهُ ولكنها نفثة اختلجت في صدر ناظمهِ حين رأى الحياة ظلاً زائلاً وسنادًا مائلاً راحتها عناء ونعيمها شقاء. شغلت بجهادها ابناءها فسعوا دائبين وسروا جاهدين يتطلبون الراحة من التعب والنعيم في النصب . وهذه سنة الكون جهاد قائم ونزاع دائم لم يقم لولاهُ هذا الكون العظيم ولم ينتظم هذا السمط البديع بل لولاهُ لم ترتقِ الكائنات ولم تسمُ المخلوقات ولا عُرِفَ الحقير من العظيم ولا الفضيلة من الرذيلة

تصوَّرِ الانسان في فلاة القدم وصحراء الازل عاري الجسد منبوذًا في العراء خاوي الوفاض بادي الذلة لا سلاح يقيهِ ولا ناصر يحميهِ يتطلب مسكنًا يسكنهُ وملبسًا يسترهُ ومطعمًا ومشربًا حواليهِ حيوانات سبقتهُ بوجودها وباهتهُ بعديدها . هي مستورة وهو عاري وهي شاكية انيابًا واظفارًا ومناسر وهو اعزل يراها بين فاتكٍ يحدد نابهُ ويدلّ بمخلبهِ وفاتنٍ يمرح بظرفهِ ويتباهى بحسنهِ ويدلُّ بجمالهِ وسادر في خيلائهِ وسادل ثوب كبريائهِ وسانح وبارح ومقيم وسارح . وطائر يطير بين مستعظم كبير ومتضائل صغير وهو بينها ضعيف القوى بادي الضنى . الاَّ ان ارتقاء عقلهِ بطرق تخيلهِ وتحيلهِ وقاهُ منها وسوَّدهُ عليها

ثم اعد اليهِ نظرًا وهو يسمو كبرًا ويختال عجبًا يشيد القصور ويبني الصروح ويقيم البروج تضاءل لهُ كل متجبر وذل لديهِ كل عاتٍ وملك اقطار الارض وآفاق السماء فسخر الحيوان ووطئ ظهر الماء وركب متن الهواء حتى اذعن التيار لسلطتهِ وذل البخار لقوتهِ وخضعت الكهربائيَّة لسطوتهِ سخرها لطاعتهِ واقامها لخدمتهِ وطئ اكنافها فانقاد ابيُّها واطاع عصيُّها . فهل هذا

الطائر في الهواء الممتطي غاربَ الماء المالكُ ناصية الكهرباء الباني الصروح العالية والقصور الشامخة هو ذلك البائس العابس الضارب في حيرتهِ التائه في هواجسهِ المستكن الاعشاش والكهوف — هو هو — لمَّا أعوزتهُ الحاجة واضطر بحكم الفاقة جاهد قدر الطاقة بالتعقل وطرق التحيل فبلغ ما بلغ مع الدهر الطويل والزمن المديد . ولو لم يقف صدًّا لارتقائهِ ما هو غير صالح من طرق الجهاد ومقاوم النزاع لكان لهُ شان يفوق التصور وتهوى دونهُ العقول

تكامل الموجود الى هذا الوصف المشهود وارتقى هذا الاوج بعد ان كان سائمًا سائحًا الليالي تتجاذبهُ والساعات تتناهبهُ تعتورهُ الحوادث والكوارث يغالبها وتغالبهُ في نزاع بين ابناء جلدتهِ وحيوانات مستقرهِ يصطرع معها وكل يجر النار الى قرصهِ وصل الى ما وصل بعد جهاد طويل غالب فيهِ الطبيعة وسلب ما حولهُ مما تضطرهُ اليهِ حاجتهُ لقتوية ركنهِ وحفظ كيانهِ واستمرار بقائهِ

لا بدع اذا قام بالجهاد وثبت في مجال التنازع اذ كان الجهاد ركنهُ وقوامهُ . فالجهاد سنةُ العالم وناموس الكون الاعظم . اعتبرهُ في الجاذبيَّة ام النواميس الكونيَّة بل اهمّها تجد انها جهاد عنيف وشوق بين الجاذب والمجذوب وهي تقوى على قدر ما فيها من المادة . يعني ان قوة الجذب تزيد بازدياد المادة الموجودة ونقصانها وان كليهما متجاذبان مهما عظم احدهما وصغر الآخر . فالارض كما تجذب الحصاة الواقعة عليها تجذبها الحصاة اليها والفرق بين الجذبين كالفرق بين المتجاذبين

علِّمنا ان هذا الفضاء الشاسع كان ولم يزل مملوءًا بالجواهر السابحة والايثير المنتشر وان ذلك مادة العالم بتسلط الجذب والدفع عليهِ يتنازعان على قوتهِ ويتغالبان على استرقاقهِ . ومن ذلك تكوَّنت العوالم الارضيَّة وتألفت الكواكب العلويَّة والاجرام السمويَّة . وبجهاد حركتي الجذب والاستمرار سارت السوائر ودارت الدوائر ووجد الليل والنهار والعشي والابكار وفصلت الفصول وارتقت الحياة والعقول ونبت البنات وعاشت الحيوانات وقامت الارضون والسموات

نرى النبات يجاهد غيرهُ لتقويم حياتهِ وينازع جارهُ لبقاء ذاتهِ فاذا نظرت مزروعًا بسق اوخصب تجد بين نباتهِ نبتًا ضئيلاً ضعيفًا بطيء النمو مجاورًا للباسق الخصب وهما من صنف واحد في مزدرع واحد يسقيان من ماء واحد وما ذاك الاَّ ان العالي علا بفوزهِ على الضعيف في معترك الجهاد وغلبهُ على القوت فنقع غُلتهُ وذلك اضناهُ الجوع يتبلغ بالتافهِ من غنيمتهِ ان كان فيهِ بقية والاَّ هلك

عُد نظرًا الى الانتخاب الطبيعي تجدهُ قائمًا على اركان اهمها بقاء الانسب. والوراثة الطبيعيَّة

وكلتاهما قائمتان بالجهاد الحيوي فان الاصلح الذي ناسب زمانهُ ومكانهُ انما ثبت لوجود الاستعداد فيهِ للبقاء من صلاحية اثبتها فيهِ جهادهُ بعد فناء ما اختلت فيهِ من افرادهِ مناسبات حالتهِ فلم تصلح لجهادهِ. فالزرافة انما طال عنقها لمَّا الجأها جهاد الحياة الى التطال الى باسق الاشجار . فما كملت فيهِ هذه الصفة قوي على عدوهِ الجوع وما لم توجد فيهِ صرعهُ عدوهُ في جهادهِ وفشا فيهِ الفناء . وكذلك قل في افلائها ما ولد طويل العنق عاش عيش ابيهِ والذي قصر عنقهُ قصر عمرهُ الى ان ثبتت هذه الصفة بالوراثة وتأصلت واصبحت من الصفات اللازمة المقومة . وجهاد الحياة اساس ذلك فهو اساس وجودها على تلك الحال وامتياز هذه الصفة دون غيرها لمكان اعوازها

هذه اسراب الحيوان في مغاديها ومراوحها متهارشة متحاربة متنازعة جهادها بينها على ساق. هذه تغالب تلك وتلك تطرد هاتيك اذا انست مرعى خصيبًا وروضًا معشوشبًا . وبعضها يفترس بعضًا والبعض ينهش الآخر وهي في حرب عوان . فالجهاد سنَّة بين الاحياء قامت عليها الاكوان ونشأت بها المنشآت وتكملت بها الطباع وارتقت بها المخلوقات

كلما اتسعت مدارك المرء وزاد ترفهُ عيشهِ كثرت حاجياتهُ فيكثر جهادهُ وذلك لانهُ في حالتهِ الحيويَّة يحتاج الى ما يحفظ بهِ كيانهُ ويستجلب بهِ الفوز في جهادهِ فاذا ارتقى في سلَّم العيش وصافح الارتقاء انفت نفسهُ بما الفتهُ من النعيم خسائس الحالات فعانق ما هو ارقى من حالتهِ الاولى حتى اذا تأصلت فيهِ صار لا غنى لهُ عنها فاصبحت حاجة بعد ان كانت كمالاً. وكلما زاد نعيمهُ انفسحت امامهُ باحة الكماليات يعانقها عناق مشتاق ويألفها الف من يخشى الفراق حتى تلزمهُ وتصبح من حاجياتهِ الهامَّة وخصائصهِ اللازمة. ولنفرض ذلك والانسان في اول امرهِ قد دفع عنهُ صبارة الشتاء وحمارة القيظ بتفيئهِ ظلال الاشجار والتحافهِ اوراقها او اكتنانهِ مغاور الجبال مرتديًا اهابات صيودهِ من الحيوانات التي تغلَّب عليها طلبًا لقوتهِ. ثم ترقى وانتقل من ظلال الشجر الى افياء الاعشاش. ولا شك ان اول استعمالهِ الاعشاش ليس كآخرهِ اتقانًا ووفاء بالغرض فلو كلفتهُ والحال هذه لم تجدهُ مطيعًا ترك كِنّه راجعًا الى حالتهِ الاولى لما الفتهُ نفسهُ من هذا النعيم. ثم ارتقى في ملبسهِ من اوراق الشجر الى اليافها ومن الجلود الى اوبارها يحوكها برودًا ومآزر واصبحت من لوازم عيشهِ ومن اهم حاجياتهِ بعد كونها كماليات وهكذا كلما سما في سلَّم النعيم كثرت حاجياتهُ فيعظم جهادهُ وعلى قدر الغاية يكون العمل

قلنا فيما سبق ان المرء مفطورٌ على الجهاد في حياتهِ فهو في ذلك يتوخى ما بوسعهِ للفوز في هذا الجهاد وكأنهُ كان لا يقف عند حدٍّ في الجهاد يتتبع كل طريق ويطرق كل باب

وراء الغاية حتى عرف النافع والضار وادرك اللذة والالم ولا يبعد انهُ ادرك ان كثيرًا من التعب يعقبهُ الراحة فتوخاهُ تبعًا لغايتهِ وعلم ان الاخلاد الى السكون والاستسلام للراحة والهوى والبطالة مطلقًا للشهوات العنان غير مقيدة بقيود الاختبار والتعقل يرمي المرء في مهاوي المهالك حيث تهمل آلات الجهاد الصالحة ويقف نموُّ ما حصل بالتوارث من اعصاب قويّة وهمة عليّة واخيرًا ينتهي بضعفها وعدم مناسباتها للجهاد فيقف صاحبها في معترك الاسنة وسلاحهُ مخرب ويهوي في هوة الردى

بقاء الانسب هو في الصفات كما هو في الماديّات بل اظهر اثرًا فما كان من الصفات انسب للنجاح واصلح للبقاء ثبتت اصولهُ ونمت فروعهُ وطاب وزكا ولو كانت حلاوتهُ مبدوءة بالحنظل وراحتهُ مسبوقة بالتعب وما كان غير صالح للنجاح ذوت فروعهُ وخبثت ثمرتهُ ولو كان في اولهِ شهيًّا جنيًّا . ولا شك ان هوى النفس يتطلب اللذة العاجلة ولو كانت العاقبة مردية لكن العقل الصحيح والاختبار الصادق يمنعان من هذا التهور . فاذًا اعمال الانسان اما مسوقة بسابق الهوى او سارية تحت قيادة العقل او هما يتعاقبان عليها ويتنازعان زمامها والنفوس منطبعة بطبع قائدها سالكة منهاج تعليمهِ سائرةً تحت ارادة سائقها . فان ولي العقل زمامها قادها الى الاصلح والانسب فيما يؤَهلها للمناضلة والمدافعة في معترك الحياة فتفوز فوزًا مبينًا ويرتفع شأن صاحبها ويحسن امرهُ ويعلو ذكرهُ لان النهج الذي سرى عليهِ نهج سهَّلهُ الاختبار وحسَّن عاقبتهُ التأمل مما يستجاب ثقة قومهِ ومحبتهم يحفظ بذلك نفسهُ وقومهُ وجنسهُ باتباعهِ الاخلاق الصالحة المناسبة لحفظ كيان المجتمع

ثبت الجنرال ده ويت البويري امام صدمات الانكليز القوية بفئتهِ القليلة العدد والمدد بثبات جيشهِ . ومن اهم اسباب الثبات حب الجيش لقائدهم حبًّا يفدونهُ معهُ بالارواح وليس ذلك الَّا لاتصافهِ بالصفات التي تليق بالمجاهد في معترك الحياة من حب القريب والوطن والشفقة على الضعيف وغيرها من مقومات الهيئة الاجتماعية فهو كان بينهم غير متميز عن واحد منهم طعامًا ولبسًا واذا رأَى جنديًّا رثَّ لباسهُ قاوضهُ ثيابهُ

ونابليون الاول ما ثبتت معهُ جنودهُ في اقتحام سعير الحروب وخوض غمرات الردى في برد روسيا وحر مصر ومحاصرة عكا الَّا لاخلاصهم في حبهِ لما رأَوهُ فيهِ من الاقدام والحب لوطنهِ وقومهِ

هذا اذا قاد الارادة العقلُ واما اذا سارت تحت لواء الجهل والهوى قيدت الى العسف والخبط على غير هدى وآبت بالفشل كما نرى في جهاد كثير عموا عن اكتناه العالم واستجلاء غوامضهِ وصمُّوا عن داعية الهدى والرشاد

واما اذا تعاقبت عليها سلطتا العقل والجهل وغلبت احدى السلطتين الاخرى سارت الارادة مع الغالبة وان تساوت قوتاهما سارت طريقاً وسطاً شأن المنفعل بحركتين متساويتين في جهتين فانهُ يكون بينَ بين. فالمساعي مختلفة واسباب الجهاد متفاوتة عرف ذوو العقول الثاقبة الذين تأملوا العالم فاحسنوا فيهِ التأمل نافعها وضارّها وانشأُوا الحكمة الاخلاقية فلاحسن الاَّ ما يحسن للجهاد في حياة لا تقوم الاَّ بهِ ولا قبيح الاَّ غير الصالح لهُ ولا شبهة في نجاح سالك النهج القويم واهتدائهِ وشطط السائر في غير قويم وضلالهِ

اربعة سائرون في مضمار واحد مختلفو الصفات احدهم مخلد الى الراحة لا يرفع يداً لعمل ولا يبعث عزماً للجهاد تناهبهُ الضرورات وهو متبلد امامها والثاني مجاهد بطرق ليست مشروعة يتتبع طرق التحيل والمكر و يعتنق الكذب والرياء والثالث جاهل رأَى الناشئة في مهد العلم والعقل فاحبَّ اتباعهم عن غير ما يكفيهِ فتطلع الى الغاية ولم يحسن المقدمات ولم يخمد نار جهلهِ بالعلم ولم يرجع في سيرهِ الى اختبار صادق وسار الرابع في النهج الاقوم فمهد لديهِ الصعوبات بعلم علمهُ واختبار الفهُ وحكمة استضاء بمشكاتها . فاذا نظرنا النتيجة رأينا الاول عليهِ لبوس الذلة وضَرَع الاستسلام والاهمال قد انحطت رتبتهُ الى ما دونهُ من العجماوات كلٌّ على عاتق الحياة ورأَينا الثاني قد كرهتهُ القلوب ونبذتهُ العيون ونبت عن ذكرهِ الاسماع لا يثق باحد لسوء ظنهِ ولا يثق بهِ احد لسوء فعلهِ ورأَينا الثالث بعيداً عن النجاح تكلف مشاق شاقةً دون بلوغهِ ما يريد وما ظنك بمن طلب شيئاً وسار بغير طريقهِ واما الرابع فهو الذي يصافح النجاح يملك غايتهُ ويحصل على بغيتهِ يسير في طريق ممهد لا عوج فيهِ

وقفت الصين واليابان موقف الحرب وشبت بينهما نارها والصين اكثر ناصراً ونفيراً فلما التقى الجمعان وكانت اليابان قد اعدَّت معدات الجهاد التي اتقنها لها التمدن والتعقل وسلكت سبيل الاختبار غير مرتبطة بتقاليد قومية او جهل قديم حيث كانت الصين تجر اذيال التيه وتفخر بعادي مجدها وقديم عزها مستمسكة بالتقاليد القومية والجهلات التعصبية ذلك اخلدها الى السكون فاهملت آلات جهادها فزلت بها القدم ولم ينفعها ما حولت اليهِ نظرها من المجد الفارغ والزخرف الباطل ولا بطؤها عما اسرعت اليهِ جارتها فكانت جنود اليابان اكثر دربة واحسن سلاحاً والصين اكثر عديداً ونفراً فحطمتها اليابان وهي لا تبلغ عشرها وفازت عليها وهتكت سترها

وترى الامة العربية حين كانت دائبة في جهادها قائمة بدعوتها امتدت في آن قصير وتغلبت في وقت قريب على الدولتين العظيمتين اللتين اقتسمتا العالم وتنازعتا قوتهُ الروم والفرس حيث كانت آلات الجهاد عندها من الدربة والانتظام ومحبة القريب وحفظ كبار

الامة والدين كاملة ثابتةً وكانوا لا يعرفون الراحة فالتقشف ومجانبة الترفه في اكابرهم كاصاغرهم كان ذلك والفرس والرومان يتقلبون في الراحة حتى ساقتهم الى التباغض والتحاسد فهدم ذلك مع مهاجمة عدوهم صروح مجدهم وثل عروش عزهم . فالجهاد الصادق ما نظر فيهِ مجاهدهُ الى الى مستقبلهِ وتأمل في عاقبة امرهِ ولم يموه عليهِ ظاهر الحال فالسم في الدسم. والجهاد الكاذب الفاشل ما قنع ناظرهُ بما هو فيهِ ولم ينظر في عواقبهِ فما هو الاَّ حبالة الشرك قد اخذت بمخنقهِ واوردتهُ حتفهُ . فليتأمل العاقل وليختبر الحكيم فالتاريخ مرآة الحوادث وهو المدرسة الكبرى والمختبر العظيم

احمد رضا

# بابُ تدبيرِ المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

## المدارس السورية الانكليزيَّة

لئن تعددت المدارس السوريَّة على اختلاف اجناسها وطبقاتها فانها لم تدرك شأو المدارس السوريَّة الانكليزيَّة فائدة وفضلاً ولذلك رأَيت ان اثبت على صفحات المقتطف الاغر لمحة من تاريخ هذه المعالم وفضل القائمين بها فاقول

اتت السيدة المبرورة مسز بوين طمسن الى بيروت عام ١٨٦٠ فرأَت وقتئذٍ من سوءِ حال الارامل واليتامى النازحات من الشام وحاصبيا وغيرهما ما هاج في قلبها عاطفة الحنان والشفقة فاخذت تمدهنَّ بما يسدُّ رمقهنَّ ويصلح حالهنَّ ولما لم يكن في الالف منهنَّ من تحسن القراءة وكانت ترى في تثقيف عقولهنَّ وتهذيب اخلاقهنَّ وعوائدهنَّ خدمة للبشريَّة عمدت الى تعليمهنَّ مبادئَ العلوم والآداب فالتمست من الدولة العليَّة فرماناً يخوّلها حق انشاء مدارس للاناث في بيروت والشام ووادي التيم وبقاع العزيز وجبل لبنان

وبعد ان ظفرت بمبتغاها سافرت الى انكلترا حيث حضَّت ذوي الايادي البيضاء والمولعين بعمل البرّ على معاضدة مشروعها فالَّفت لجنة لجمع المال اللازم لنفقة المدارس حتى اذا ضمنت لها الثبات على خطة التقدم عادت الى بيروت وابتاعت قطعة ارض في ناحية منها حسنة

الموقع جيدة الهواء بنت فيها المدرسة الداخليَّة وهي الاولى في سوريَّة ومتوسط الطالبات المقيمات فيها بين ٦٠ و٧٠ وقد تدرَّب وتهذَّب فيها عدد من الفتيات ليس بقليل منهنَّ اليوم ربَّات منازل ومعلمات وممرّضات وطبيبات ومهذبات في انحاءِ شتى من المعمور يحسن الاقتداءُ بهنَّ والتأسي بفضائلهنَّ

وبعد أن اكملت معدّات هذه المدرسة ووفّرت فيها كل اسباب التقدم والنجاح انشأت فروعاً خارجيَّة في احياء المدينة وفي دمشق ووادي التيم ولبنان حتى بلغ عدد الطالبات في وقت قصير ثلاثة آلاف او يزيد

فكان هذا النجاح السريع محرّكاً لغيرة سائر الطوائف على تثقيف البنات وتهذيب اخلاقهنَّ ففتحت لهنَّ المدارس في اكثر مدن سوريَّة واتسع بذلك نطاق التمدن في البلاد

ولم تكفَّ تلك الفاضلة عن الكد والسعي في الخير الذي ذكرناهُ ولم يقطعها عن ادارة المدارس التي انشأتها بكل همة ونشاط الاَّ انصرام الاجل فتوفاها الله عام ١٨٦٩ ونابت عنها في ادارة تلك المهمة شقيقتاها مسز سمث ومسز موط فاخذتا تزيدان المدارس اتقاناً وتوسعان حلقة العلوم التي تُدرَّس فيها وتمكنتا بمعاونة مستر موط السخي من ابتياع الابنية اللازمة للمدارس المذكورة ومكثتا ثابتتين في موقف الكد والاجتهاد الى ان توفيت احداهما مسز موط عام ١٨٩١ فانفذت اللجنة مس جيمس لتقوم مقامها فلم يكن من ولايتها ادارة المدارس نحو سنتين حتى اضطرَّت الى الاستقالة لاسباب صحية

ولما كانت السيدة كرولين طمسن قد قامت مدة برئاسة المدرسة الداخلية لعهد ادارة مسز موط ووقفت على احوال المدارس كلها فضلاً عما كانت عليهِ من الاختبار في تنظيم شؤُون المدارس واسلوب التدريس وما استفادتهُ من هذه المزايا في مزاولتها المدارس الالمانية دعتها اللجنة الى ادارة تلك المدارس فحسرت عن ساعد الجهد في خدمتها بهمة لا يدركها كلل ولا تعرف الملل حتى بلغ عدد المدارس الانكليزية في ايامها ٥٩ ما بين داخلية وخارجية وبلغ عدد المعلمات الوطنيات ١٣٦ والاجنبيات ١٨ والطالبات ٤٦٨٠

ومما يخلق بنا ذكرهُ هو ان السيدة المذكورة سمعت بطريق الاشاعة ان النساء السوريات مع فرط ذكائهنَّ وتوقُّد ذهنهنَّ وقابليتهنَّ للعلم والآداب في اسرع مدَّة لا تستطيع الواحدة منهنَّ كتابة صفحة واحدة في اللغة العربية خلوًّا من الغلط مع ان اكثر من واحدة منهنَّ قادرة على تحبير عدة صفحات بلغة اجنبيَّة وان هذا التقصير لم يدرك الطالبات في اثناء الطلب بل اللواتي احرزنَ الشهادة المدرسية سواءٌ كان من مدارسها او من سواها فدعت الاستاذين

سليم افندي كسَّاب وابرهيم افندي عطية اللذين زاولا صناعة التدريس نحوًا من اربعين سنة لتدريس الصفوف العالية في المدرسة الداخلية وتدريب الطالبات فيها على اصول اللغة العربيَّة والوقوف بهنَّ على آدابها بحيث يتوصلن الى ازالة ما تبادر من الوهم الى افكار كتَّاب العصر في تقصير المرأة عن ادراك شأوهم في الكتابة ويؤيّدن رأي القائل ان المرأة الشرقية اذا تلقت العلم على اصولهِ بارت الرجل في مضمار العمل المفيد شأن المرأة الغربيَّة وكل آتٍ قريب

ولما رأت العصر يطالب المرأة بالقيام ببعض الامور الضروريَّة ولاسيما بفن تدبير المنزل نفت باهمال الكماليَّات في مدارسها كالبيانو واللغة الفرنسويَّة وصرفت الهمة الى اتقان القراءة والكتابة والحساب والجغرافية والخياطة واعمال اليد فاقترحت على الاستاذ سليم افندي كسَّاب وضع كتاب في الاقتصاد المنزلي فلبَّى الطلب وجمع كتبًا عديدة في هذا الباب من اميركا وانكلترا ولخص منها ما يلائم البلاد الشرقية واضاف اليهِ ما استفادهُ بالاختبار في اثناء تدريسهِ الاعوام الطوال فجاءَ كتابًا وافيًا بالمقصود والكتاب ممثَّل للطبع وقريبًا تتناولهُ ايدي الطلبة

ومِمَّا يجدر بنا الاشارة اليهِ اقرارًا بالفضل هو ان السيدات اللواتي اخذنَ على انفسهنَّ ادارة المدارس السورية الانكليزيَّة لم يبذلنَ ما بذلنَ من العناية والاهتمام في شؤُون الفتيات الَّا ابتغاءَ وجه الله الكريم وحبًّا بالقريب ولا نجازف اذا قلنا انهنَّ لم يقتصرنَ على الكد والنصب في هذا السبيل بل هانَ عليهنَّ دون خدمة بنات الوطن بذل النشب فلا غروَ اذا خطَّ اليراع على صفحات الصحف من مجلاَّت وغيرها كلمة في شكرهنَّ وتخليد ذكر افضالهنَّ لان لمثلهنَّ وجب الاقرار بالفضل والاعتراف بالجميل

بيروت س . خ

## تمريض المرضى

### الفصل الاول في الولادة

الموت في الدرجة الاولى من الرهبة والولادة في الدرجة الثانية فتكاد رهبتها توازي رهبتهُ. وهي اذا جرت مجراها الطبيعي ولم يعقها عائق فلا شيء ابسط منها ولكن اذا لم تجرِ مجراها الطبيعي وعاقتها العوائق فلا شيء اصعب منها. ومع ذلك يقدم بعض القوابل على التوليد غير موجسات شرًّا ولا مباليات بما قد يحدث من سوء العواقب

وليس من غرضي الكلام على التوليد بالاسهاب فاكتفي بذكر بعض الامور التي تفيد الوالدة واللواتي يردن ان يساعدنها وقت النفاس

وقبل الدخول في الموضوع احبُّ ان اوجه نظر القراء الى امر كثير الوقوع في بلاد المشرق فقد رأيت بالامس رجلاً يحمل كرسي التوليد ووراءهُ كثير من الاولاد يتبعونهُ . وحمل هذا الكرسي من مكان الى آخر امر شائع فيحمل معهُ جراثيم الامراض . ومن الغريب ان النفاس لا يصبن بالامراض القتّالة اكثر مما يصبن الآن وهذا الكرسي ينتقل من بيت الى بيت ولكن اذا سبَّب كل كرسي من هذه الكراسي موت امرأتين فقط فذلك كافٍ للعدول عن استعمالهِ مطلقاً

ويجب ان تولَّد المرأة على فراشها وتبقى عليهِ ثلاثة ايام على الاقل بعد ما تلد . واذا كانت لا تستطيع ان تشتري مشمَّعاً من الكاوتشوك فلتضع تحتها ورقاً اسمر فوق ملاءة عتيقة نظيفة وينزع ذلك كلهُ من تحتها حينما يولد الطفل

والولادة ليست مرضاً ولكن لا بد من تمريض الوالدة اي من الاعتناء بها كما يُعتنى بالمريض لانهُ اذا لم يعتنَ بها الاعتناء الواجب فقد تفقد صحتها وتقضي بقيَّة عمرها في حالة الضعف والمرض . وما من احد يعلم كما يعلم الاطباء والممرضات عدد النساء المصابات بآلام مستمرَّة لانهنَّ لم يُعتنَ بهنَّ الاعتناء الواجب في نفاسهنَّ . والولادة لا تأتي فجأة فعلى المرأة مهما كانت فقيرة ان تستعدَّ لها على قدر طاقتها

اذا لم تستطع ان تهيئ الملابس الفاخرة والامتعة المزركشة فهي تستطيع على الاقل ان تعدَّ لنفسها بقجة فيها ثياب الطفل والملاءات النظيفة لطفلها ولنفسها مع القمصان النظيفة لنفسها. ولا داعي لان تكون هذه الثياب والامتعة جديدة بل يجب ان تكون نظيفة جدًّا ولو كانت عتيقة وان توضع كلها معاً في بقجة واحدة او مكان واحد حتى يسهل الوصول اليها . وهذا يصدق على الاغنياء كما يصدق على الفقراء اي ان الثياب والامتعة المختصة بالنفاس يجب ان توضع معاً في مكان يسهل الوصول اليهِ

ولتلبس الحامل حينما يأتيها الطلق قميصاً تحتانياً وقميص نوم وتنورة. ولا بدَّ من ان يكون كل لبسها نظيفاً جدًّا ويشمر القميص وقميص النوم الى الوسط ويقطبان هناك او يمكَّنان بدبوسين من الدبابيس الموقاة اي التي حول رأسها شيء يقي منهُ . حتى اذا ولد الطفل لا يتَّسخ من الولادة الَّا التنورة فتنزع ثم يحل رباط القميص وقميص النوم وينزلان لتغطية البدن

والفراش الذي تولَّد عليهِ النفساء لا يحسن ان يكون تحتهُ سلك . ولا بدَّ من ان يغطى بملاءة نظيفة وتوضع المخدَّة في كيس نظيف ايضاً ويوضع مشمع فوق النصف الاسفل من الفراش يطفُّ على جانبيهِ ويوضع ملاءتان قديمتان نظيفتان فوق المشمع تطوى كلٌّ منهما

اربع طيات وتوطأ المخدة وتغطى الحامل بحرام الى ان ينتهي الطلق

ويجب ان لا يوضع شيء تحت السرير وان تكون غرفة الولادة نظيفة جداً مطلقة الهواء

واذا حضر طبيب لتوليد المرأة طلب ان توضع لهُ طاولة ليضع ادواتهِ عليها فيجب ان تغطى بملاءة نظيفة وتستحضر لهُ مناشف كثيرة نظيفة ايضاً وفرشاة للاظافر وماء سخن وصابون وجردل وقليل من الڤاسلين وبودرة نقية وكاس ماء

وحينما يولد الطفل يغسل ما بين ساقي النفساء بقطعة نظيفة جداً من الفلانلا وتنشف بمناشف نظيفة جافَّة . واذا شعرت بقشعريرة وارتفعت حرارتها فهي مصابة بتسمُّم الدم اتاها بالعدوى من احد من الذين لمسوها او زاروها او من امتصاص مواد قذرة فاستدعِ لها الطبيب حالاً واذا كان مكانهُ بعيداً او تعذَّر حضورهُ فاعطِها حالاً شربة من زيت الخروع . ولا بدَّ لكل حامل من ان تتناول مسهلاً لطيفاً قبل الولادة وتستحم

ومتى ولدت واخذت ترضع طفلها يجب عليها ان تغسل ثدييها بالماء الحار مرتين في النهار في الصباح والمساء فان ذلك يمنع تولُّد الخراريج في الثدي ويمنع القلاع الذي يصيب الاطفال . واذا ظهر اقل تصلب او احمرار في الثدي وجب ان يعالج حالاً بالنطولات الحارَّة هكذا : توضع منشفة في طست حتى يتدلى طرفاها عن جانبيهِ وتوضع فوقها قطعة فلانلا ويصب عليها ماء غالٍ ثم ترفع المنشفة بطرفيها وتعصر الفلانلا وتنفض وتوضع على الثدي وتغطى بمنشفة ناشفة ويكرَّر ذلك مراراً . واذا لم تحصل النتيجة المطلوبة فاستدعِ لها الطبيب والَّا ظهر خرَّاج في الثدي

يجب على النفساء ان تتناول مسهلاً لطيفاً في اليوم الثالث بعد الولادة وبعد ذلك يصير يمكنها ان تأكل الاطعمة الجامدة مثل السمك والفراخ والكستلاته واما قبل ذلك فيجب ان تكتفي باخف الاطعمة مثل اللبن والمرق والشوربا والشاي والقهوة والبيض والرز باللبن وقليل من الخبز المحمص او البسكوت

ويجب ان تبقى في سريرها اسبوعاً او عشرة ايام . ويمكن اصلاح الفراش وتغيير الملاءات بسهولة وهي نائمة فيهِ باصلاح النصف الواحد ثم النصف الآخر فتنزع الملاءات الوسخة وتوضع غيرها . ولا بدَّ من الاعتماد على رأي الطبيب في اليوم الذي تقوم فيهِ النفساء من سريرها . ومهما كانت قوية وصحيحة الجسم لا تسترجع قوتها قبل اسبوعين او ثلاثة

اذا دعت الحال الى ابطال الرضاع فاستحضر مقادير متساوية من الغليسرين والبلادونا وخذ خرقة تغطي الثدي وقصها من دائرها حتى تصير مستديرة واجعل فيها خرقاً صغيراً في

وسطها لتبرز منهُ الحلمة وغطها بمزيج الغليسرين والبلادونا وضعها على الثدي وضع فوقها قطناً مندوفاً واربط الثدي جيداً

وهذا الدهان اي دهان الغليسرين والبلادونا يصلح لدهن الفخذين اذا التهبتا او اصابهما شيء من التسميط وحينئذٍ لا يشد الرباط عليهما بل توضعان على شيء ليّن وترفع القدمان قليلاً

ويجب ان يكون الحزام ( الزنار ) عريضاً يمتدُّ من البطن الى العجز حتى لا يبرز الحقوان ويتسعا

هذا واكرر القول ان النظافة الزم الامور. وهي سهلة جدًّا ما دام الماء والصابون موجودين ويجب ان يكون الماء سخناً ويغسل ما بين فخذي النفساء كل يوم صباحاً ومساء وتوضع لها فوط جافَّة دافئة

ويجب ان لا يدخل غرفتها احد من الزوار في الايام الاولى ومهما اهتمَّ الذين يخدمونها بتنظيف اياديهم وثيابهم لا يبالغون ( ستأتي البقية )

## تنظيف الفرو

خذ ملء صحفة كبيرة من الرضَّة ( النخالة ) وابسط ورقة كبيرة على مائدة وابسط الفرو عليها وافركهُ بنصف الرضَّة جيداً وضع النصف الثاني في فرن حتى يسخن ثم افرك الفرو بهِ وامسحهُ بفرشاة ناعمة وانفضهُ فتجدهُ قد نظف

واذا كان الفرو على بطانة من الاطلس واتَّسخت فبلّ اسفنجة بالماء واعصرها جيداً وامسح الاطلس بها ثم امسحهُ بخرقة ناعمة جافَّة وعلقهُ في مكان حار

واذا كان الفرو من فرو استرخان فامسحهُ باسفنجة كما تقدم ثم صب قليلاً من الكولونيا على خرقة بيضاء ناعمة وامسحهُ بها فتتسخ حالاً فارمها وامسحهُ بخرقة اخرى بعد ان تصب عليها من ماء الكولونيا وهلمَّ جرًّا الى ان ينظف جيداً فانفضهُ وعلقهُ حتى ينشف ثم امسحهُ بفرشاة ناعمة

واذا لم يكن الفرو مبطَّناً امكن تنظيفهُ على اسلوب آخر وهو ان تضع فنجاناً كبيراً من الرضَّة في خرقة رقيقة وتصب عليها قليلاً من الماء الغالي وتتركها فيهِ نصف ساعة. ثم تقص قطعةً من الصابون قطعاً صغيرة جداً وتصب عليها ماء غالياً ستين درهماً من الماء لكل ملعقة من الصابون وتحركهُ حتى يذوب ثم تصب الماء الذي نقعت فيهِ النخالة في اناء واسع وتصب فوقهُ ماء حتى تقل حرارتهُ. وتذيب فيهِ من الصابون حتى تكثر الرغوة عليهِ وتنفض الفرو وتمسحهُ برغوة الصابون وتضغطهُ بين راحتيك ضغطاً ولا تعصرهُ عصراً بفتالهِ وتكرر ذلك حتى ينظف

ثم تغسلهُ بماءٍ فاتر وتعلقهُ في مكان جافٍ ولا بدَّ من نفضهِ مرارًا كثيرة حتى يبقى ناعمًا ولا يلصق شعرهُ بعضهُ ببعض

ولا بدَّ من تنظيف الفراء دائمًا قبل حفظها في زمن الصيف . واذا اردت حفظها من العث فرش عليها من الفلفل الحار واصنع كيسًا من الجرائد المطبوعة والصق جوانبهُ لصقًا بالغراء وضع الفرو فيهِ والصق الجانب المفتوح فان العث يبعد عن حبر المطابع والصاق جوانب الكيس يمنع دخولهُ الى الفرو حتمًا

## آداب المعاشرة

لا يحيّي الرجلُ المرأَة عند الانكليز اذا التقى بها في السوق برفع برنيطتهِ الَّا اذا حيتهُ هي اولاً باحناءِ رأْسها لهُ واما عند الفرنسويين والالمانيين فالرجل يحيي المرأَة اولاً برفع برنيطتهِ لها

اذا انتهى الطعام فالنساءُ يخرجنَ من غرفة المائدة اولاً عند الانكليز ويتركنَ الرجال فيها. وفي سائر اوربا يخرج الرجال والنساءُ معًا

في غرف الاستقبال عند الالمانيين مقعد يجلس عليهِ اهم الزوار واعلاهم قدرًا . واذا دخل زائر عند الالمانيين احنى رأْسهُ لكل الذين يراهم في غرفة الاستقبال حالما يدخل واما عند الانكليز فيسلم على صاحبة البيت ويحني رأْسهُ للذين يعرفهم فقط

النساءُ لا يخلعن برانيطهنَّ في الزيارات الَّا اذا طُلب منهنَّ ان يشاركنَ ربة البيت في استقبال الزوار . وقت الزيارات عند الانكليز من العصر فصاعدًا الى السهرة وعند الاميركان في السهرة لان الرجال هناك مشغولون في النهار عادة فلا يزورون الَّا ليلاً

## عض الاظافر

يعتاد بعض الاولاد عض اظافرهم ولا يقلعون عن هذه العادة مهما لمتهم ووبختهم ولا بدهن اناملهم بالمواد المرَّة والحريفة . وخير اسلوب لجعلهم يقلعون عنها ان تتركهم حتى يكبروا ويصيروا يهتمون بحسن منظرهم وتبيّن لهم قبح الاصابع المأْكولة اظافرها اذا قوبلت بالاصابع التي لم تؤْكل اظافرها فيهتمون بابطالها من تلقاءِ انفسهم ويبطلونها

## انحناءُ القامة

هذا الداءُ يعجز الكلام عن مداواتهِ قبلما يبلغ الفتى او الفتاة سن الرشد فاذا بلغاهُ فأبنْ لهما بُعْد انحناء القامة عن الجمال وانصحهما برفع الراس ومحاولة توسيع الصدر بالرياضة التي توسعهُ وتحط الكتفين وتدفعهما الى الوراء فتجد ان قامتهما تستقيم بعد مدة قصيرة

# باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من أصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) ا الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

## رد على ردين

الى المحترمين صاحبي المقتطف الاغر

كان لما كتبتهُ في الجزء الاول من المقتطف الاغر هذه السنة عن العربيَّة والقبطيَّة حديث يذكر بين حضرات قراء المقتطف ولكن ما عتمت ان اتهمني حضرة صديقي الفاضل صاحب مجلة عين شمس باني اظهرت للعالم اجمع ان ما ذكرهُ من الكلمات والجمل المستعملة في العربية والتي اصلها قبطي خبر مشكوك في صحتهِ ثم طالبني بان ابرهن على دعواي هذه ببرهان تاريخي يدل ان هذه الالفاظ استعملتها العرب قبل العائلة الثانية عشرة المصريَّة سنة ٢١٦٠ قبل التاريخ الهجري وهو طلب عادل لا يستغرق الَّا القليل من الزمن للبحث في ذلك العصر الجاهلي ومعرفة دقائقهِ ومقارنتهِ بتاريخ العرب القديم لاستخراج المجهول المطلوب. على اني ارجو ان اذكر لحضرتهِ بياناً بسيطاً غير محتاج الى بحث كثير وهو

ورد في التاريخ ان لغة مصر القديمة كانت هيروغليفية تثبت ذلك كتاباتهم وان العائلات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة كانت عائلات عربية او عمالقة او هكسوس او رعاة نزح رجالها الى مصر تحت قيادة الوليد بن دومع قادمين من اسيا من جهة الشمال الشرقي واستولوا على الوجه البحري ثم على الوجهين اذ خضعت لسلطانهم دولة الفراعنة وفي عهد احد ملوكهم الريان جاءَت السيارة بيوسف الصديق عليهِ السلام الى آخر ما هو معلوم. وقد حكمت هذه العائلات الثلاث على مصر نيفاً وخمسماية سنة وشهدت لهم ثقات المؤرخين بالاعمال الحسنة في عمارة البلاد المصريَّة وزيادة ثروتها

وورد في التاريخ ما كان من استيلاء الامم والشعوب الاجنبية على مصر كاليونان والفرس الخ

اذا عرفنا ذلك نقول ان اللغة الهيروغليفية ليست هي اللغة القبطية كما هو مشاهد من رسم حروف الاثنتين . وان هذه الامم الاجنبية التي فتحت مصر ومنهم العرب واخضعت اهلها ابتدأَت تبث فيها لغتها اذ لا شيءَ يخطر على فكر الفاتح الظافر قبل اي عمل الاَّ بث لغتهِ في البلاد المفتتحة ولا شيءَ يخطر على فكر المغلوبين الاَّ معرفة لغة الغالبين للتقرب منهم والتحوط فكانت مصر كلما حكمتها عائلة وطنية انقلبت الى لغتها الاصلية وكلما فتحتها اخرى اجنبية انقلبت الى الرطانة الغريبة بمزيج من الاولى وابناءُ مصر تخرج كل ناشئة منهم بلغة جديدة حتى تكونت اللغة القبطية او المصريَّة الحديثة فجمعت من كل هذه اللغات لغة شابهت في بعض اصواتها الهيروغليفية والعربية والحبشية والفارسية وفي بعض شكلها اليونانية الخ. فاذا اثبت لي حضرتهُ ان هذه الكلمات المستعملة الآن بالعربية وواردة في اللغة القبطية لم تكن اصولها من لغة من لغات اولئك الفاتحين كما قدمنا اثباتاً يقنع السائل المستفيد مثلي رضخت لبرهانهِ واعظمت امر كتابهِ كما اعظمهُ حضرة الفاضل الباحث المصري الذي اتهمني ايضاً انني انما هاجمت صاحب الكتاب بالدين وانهُ يخشى ان اكون السبب في اقفال هذا الباب ثانية كما أُقفل باب الاجتهاد سابقاً على انهُ لو انصفني لاكتفى بايضاح ما يعلمهُ دون ان يحمل ما كتبتهُ على ذلك المحمل الخشن على ان ما اوردهُ حضرتهُ برسالتهِ هو قول بعض الناس لا كلهم وقد خالفهم في رأيهم هذا كثيرون كما يظهر لمن يطلع على كتاب الاتقان في علوم القرآن للعلامة جلال الدين السيوطي الذي منهُ اورد حضرة الباحث المصري ما اوردهُ

ويرى من ذلك انهُ اذا قال قوم بدخول كلمات اجنبية على القرآن فقد نفت ذلك اقوام شأن افراد كل لغة ولا بأس بذلك اذ الحقيقة بنت البحث . وقد اورد كل ذلك العلامة جلال الدين في كتابهِ حتى يرى العالم الحديث كيف كان يتباحث السلف الصالح لكي يهتدي الى الحقيقة. فمن الظلم ان نبتر الكتاب فنذكر ما يوافق مصلحتنا ونتجاهل ما يناقضها فنخبط في ديجور ظلمات النقص والبتر فتضيع الضالة المنشودة — والحاصل انهُ لا يمكن اثبات دعوى حضرة المناظر الاَّ باثبات امور (١) ان يثبت لنا ان العرب ما تكلمت بهذه الالفاظ قبل ظهور اللغة القبطية ولا في عهد الظهور بل تكلمت بها بعدهُ (٢) بعد اثبات ذلك يثبت لنا ان المصريين ما اخذوا هذه الالفاظ من الامم المتغلبة على مصر كالفرس واليونان والعرب العمالقة فاذا اثبت ذلك ثبتت صحتهُ وسلمنا لهُ والاَّ فالحكم على بعض الفاظ من لغة بانها مستعارة من لغة اخرى بلا دليل لا تطمئن اليهِ النفس ولا يسلم بهِ عاقل

حلفا محمد فاضل

# باب التقريظ والانتقاد

## حريق مكتبة الاسكندرية

رسالة وضعها حضرة الخوري بولس عويس شرح فيها تاريخ مكتبة الاسكندرية او مكتبتيها واقام الادلَّة على ان البطريرك تيوفيل لم يحرق المكتبة التي كانت في السيرابيوم خلافاً لما زعمهُ البعض وعاد الى ما رواهُ عبد اللطيف وابو الفرج من ان مكتبة الاسكندرية حرقها عمر بن العاص باذن الخليفة عمر بن الخطاب واستدلَّ على صحة ذلك بما رواهُ صاحب كتاب كشف الظنون وهو ان العرب كانوا في صدر الاسلام يحرقون ما يجدونهُ من الكتب في فتوحات البلاد وبما قالهُ ابن خلدون في مقدمتهِ وهو

"ولما فتحت ارض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر ابن الخطاب يستأذنهُ في شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليهِ عمر اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدًى فقد هدانا الله باهدى منهُ وان يكن ضلالاً فقد كفانا الله فطرحوها في الماء او في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل الينا"

وخطأً من استدلَّ على حرق ثيوفيل لمكتبة السيرابيوم بما اوردهُ اوروسيوس الاسباني لان اوروسيوس انما قصد مكتبة المتحف التي حرقها الرومانيون. وقد ايَّد الدكتور بطلر ذلك في كتابهِ الحديث عن فتح مصر والاسكندرية فقال ان اوروسيوس لم يذكر السيرابيوم وانما كان يتكلم عن المكتبة الاصلية التي كانت في الميوزيوم واورد نص عبارتهِ اللاتيني. لكن الدكتور بطلر يعتقد ان مكتبة السيرابيوم تلفت او تفرَّقت او أُخرجت من الاسكندرية قبل زمن الفتح واقام ادلة كثيرة على ذلك ربما اتينا على ذكرها في فرصة اخرى. والمسألة تستحق البحث من وجهتها التاريخية اما الاستدلال بها على اخلاق الناس في الحروب والثورات فسقيم واسقم منهُ الاستدلال بها على صحة معتقدهم او فسادهِ لان الذين يرون موجباً لامتشاق الحسام وقتل اخوتهم وحرقهم لا يكبر عليهم حرق ما يمتلكون لاقلِّ موجب. وحبذا لو خلت هذه الرسالة من قوارص الكلم لانها لا تزيد حجَّة كاتبها تاييداً ولا تنقض حجج خصمهِ

## مجلة السيدات والبنات

وهي مجلَّة نسائية للعائلات تصدر في اول كل شهر لصاحبتها السيدة روزة انطون ناظرة

مدرسة البنات الاميركية بالابرهيمية . غرضها نشر كل ما يفيد نشرهُ للسيدات والبنات وهي لا تبحث في غير مباحثهنَّ ولا تنشر رسائل لغيرهنَّ . وقد استعانت حضرة صاحبة هذه المجلة بتنقيحها الكاتب البليغ فرج افندي انطون منشئي مجلة الجامعة الغراء

وفي الجزء الاول الذي صدر من هذه المجلة ترجمة امرأَة من شهيرات النساء وكلام عن التربية الادبية والتربية الجسدية وواجبات ربة البيت . ومراسلات بين بنات وسيدات شرقيات واخبار عن نساء الغرب ونساء الشرق وقصَّة شهرية وجيزة وكلام عن موضة الشهر مع رسوم وتفاصيل لها . فنثني على حضرة السيدة صاحبة المجلَّة ونتمنَّى لمجلتها النجاح

## المباحث العصرية

هو مجموع مباحث ادبية اجتماعية قضائية الفهُ حضرة الباحث المجتهد ناشد افندي حنا احد طلبة مدرسة الحقوق الخديويَّة واهداهُ الى حضرة عمهِ القاضي الفاضل عزتلو يسى بك عبد الشهيد وقد اعرب المؤَلف عن سعة اطلاع كما يظهر من استشهادهِ بكثير من الكتب والمجلات الاوربية الحديثة . اما المواضيع التي طرقها فمنها حقوق المجرمين والتنويم المغنطيسي والسكر واضرارهُ والاحسان وحقوق الانسان الطبيعيَّة . ومن يقرأْ الفصول كمن يقرأْ مجلَّة من المجلات الاوربية الشهيرة كمجلة العالمين ونحوها

## تهانئُ الدكتور بلس

كراسة جمعت فيها بعض التهانيء التي رفعت الى استاذنا الفاضل الدكتور بلس عند استعفائهِ من رئاسة المدرسة الكلية السورية الانجيلية وهي بالعربيَّة خطبة لحضرة مراد افندي بارودي الصيدلاني وخطبة لحضرة الاستاذ جبر ضومط ورسالة من اميركا من ثلاثة من تلامذتهِ وهم نعمة افندي يافث وسليم افندي ابرهيم الخوري والدكتور سعيد ابو جمره وقصيدة للاستاذ ابرهيم الحوراني . وبالانكليزيَّة كتاب من استاذنا الفاضل الدكتور ورتبات وكتاب آخر من حضرة قسطنطين افندي خوري ترجمان قنصلاتو اميركا في بيروت وخطبة لحضرة الدكتور هنري جسب . ونشر في اول هذه الكراسة ترجمة الدكتور بلس ورسمهُ منقولين عن المقتطف . ولقد احسن جامعوها وناشروها لانَّ سيرَ الفضلاء واعمالهم خير ما تزدان بهِ الصحف وللدكتور بلس فضل على السوريين خصوصاً والشرقيين عموماً لا يقومون بشكرهِ مهما تكرَّر نشرهُ

## حادثة المنشاوي

حادثة المنشاوي معروفة في هذا القطر لا تحتاج الى التعريف وقد نظمها حضرة الشاعر المشهور احمد افندي محرَّم في ارجوزة بديعة سماها ارجوزة محرَّم او قول الراوي في حادثة المنشاوي . وهو شاعر مطبوع يطيعهُ القريض كيف شاء وكنَّا نظن انهُ يتحامى في هذه القصيدة امورًا ينكرها غيرهُ او لم تقم الادلَّة على اثباتها بالوضوح الذي اثبتها بهِ كقولهِ ناسبًا الفعل الى المأمور

فامر الخدَّام والعبيدا ومَن رآهُ بطلاً صنديدا
ان يحضروا العصي والحبالا ويفعلوا بامرهِ الاهوالا
فعذبوا اللصوص حين ذاكا وقيل ذوقوا الموت والهلاكا

وكقولهِ ناسبًا الفعل الى رئيس النيابة حينما بُلّغ شكوى المدعين انهم عذّبوا

فاهتزَّ من فرط السرور والطرب وقال يا بشرى بادراك الارب
اليوم اشفي غلة الفؤادِ وادرك الثار من الاعادي
لا بدَّ من اذلال ذاك الرجلِ لينقضي نفوذهُ وينجلي
لا بُدَّ من هذا ليدري الكلُّ ان العزيز عندنا يذلُّ
ويعلم الجميع ان الامرا للانكليز منذ جاؤوا مصرا

فاذا اطَّلع على هذه الارجوزة مَن لا يعرف احوال القطر المصري حسب اننا عدنا الى عصر المماليك . لكن قد يغتفر في الشعر ما لا يغتفر في النثر

## المكتشفات المصرية

اجتمعت جمعية النقب عن الآثار المصريَّة ببلاد الانكليز في ٧ نوفمبر الماضي وخطب رئيسها السر جون اڤانس خطبة الرئاسة فذكر اولاً الذين توفوا من اعضائها في غضون العام الماضي ثم انتقل الى الآثار التي كشفت في ذلك العام فقال :

ان من النتائج التي نتجت في العام الماضي اضافة اسم الى اسماء الملوك الذين حكموا القطر المصري قبل عصر الدولة الاولى من الدول المصريَّة فصارت هذه الاسماء خمسة كا ورو وززَر ونارمار وسما . وممَّا وُجد من الآثار القديمة قطع من الصوان في شكل الشفار والفؤوس والمقاشط والسكاكين . ووجدت قطعة من الصوان في شكل رأس ثور وقطعة اخرى في شكل تمساح وقطع مسننة الحد يظن الاستاذ بتري انها كانت مستعملة لنزع حراشف السمك

وقطعٌ هلالية وهي غريبة الشكل . ووجدت آنية كثيرة من الحجر ولكنها مكسَّرة كلها وآنية الحجر والخزف كثيرة وادوات من البرونز مختلفة الاشكال وعظام منقوشة نقشاً بديعاً . وقد وجد كثير من الخرز والعوَذ وصفائح التقادم فاغنت المتاحف التي اضيفت اليها وطُبعت هذه الخطبة في كراسة اهديت الينا نسخة منها

# باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل **المشتركين** التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

## (١) نقصان مياه الارض

بغداد . يوسف افندي يعقوب مسيّح . وقفنا على ما جئتم بهِ من الجواب في الجزء الاول من مقتطف هذه السنة من ان مياه الارض آخذة في النقصان لدخولها في الاجسام المتبلورة وعليهِ فستجف الارض يوماً ما كما جفَّ القمر . ولا مشاحة ان جوابكم صادر عن يقين بميزانية المياه الارضيَّة التي منها استدللتم على نقصانها وقررتم على جفافها يوماً ما فما دليلكم على ذلك مع تحديد المدة التي تجف فيها الارض

ج ان القول بنقصان مياه الارض وجفافها مبني على الاستقراء والتمثيل اما الاستقراء فيدلُّ على ان الاجسام الذائبة او المصهورة تتبلور حينما ترسب او تبرد فينحبس فيها ماء التبلور ولما كانت حرارة الارض آخذة في الاشعاع فلا بدَّ من ان يزيد بردها فيزيد التبلور . وكذلك ترسب الذوائب منها مع الزمان والتمثيل يدل على ان القمر قد جفَّ الآن او قرُب من الجفاف ويعلم من بعض الادلة انهُ شاخ ولو كان احدث من الارض عهداً لانهُ اصغر منها جرماً فاذا شاخت الارض مثلهُ فمن المرجح انها تصير مثلهُ خالية من الماء . اما مقدار الماء الذي يدخل سنويًّا في الاجسام المتبلورة فلا سبيل لمعرفتهِ بالتدقيق ولا لمعرفة الزمن الذي تجفُّ فيهِ مياه الارض . لكن علم بالبحث ان سمك قشرة الارض في القارات كلها نحو عشرة اميال وان الماء في صخور الارض نحو ٢ ١/٢ في المئة فمقدار الماء الذي في صخورها طبقة عمقها ١/٤٠ من العشرة الاميال او ١٣٠٠ قدم ويوجد

الماء ايضاً في الصخور التي تحت البحار لكن سمك هذه الصخور قليل ولذلك قدَّر الاستاذ دانا خسارة ماء البحر من حين اخذت الصخور تتكوَّن الى الآن بما سمكهُ ٨٠٠ قدم من ماء البحر فاذا قدَّرنا عمر الارض من حين شرعت صخورها بالتكوُّن الى الآن مئة مليون سنة وظلت المياهُ تدخل في تركيب الصخور على معدل ما دخلت في العصور الغابرة وحسبنا متوسط عمق البحر ١٦٠٠٠ قدم فلا تزول المياه كلها الاَّ بعد مئتي مليون سنة

### (٢) انتقال جبل

ومنهُ . نقل الينا احد معارفنا انهُ طالع في احدى مجلات لڤربول منذ اربع سنوات عن انتقال جبل عظيم في فرنسا يبلغ ارتفاعهُ ٣٨٠ متراً وان هذا الجبل ظلَّ يسير ثلاثة عشر يوماً حتى وقف بالقرب من جبل آخر تجاههُ فهل لذلك من صحة

ج فيهِ شيءٌ من الصحة فان جانباً من جبل انقدَّ ومال رويداً رويداً الى ان انهدم على قرية فخربها وقتل كثيرين من سكانها وامثال ذلك كثيرة في البلدان الجبليَّة ولا سيما التي تقع فيها الامطار الغزيرة والثلوج الكثيرة فان المياه تنخر سفح الجبل حتى يميل ثم يتدهور بثقلهِ ويسرع فعلها بتراكم الثلوج عليهِ

### (٣) السيمياء

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . ما هو علم السيمياء وبماذا تعللون المناظر التي يراها الانسان كأنها حقيقيَّة

ج جاء في كتب اللغة ان السيمياء إحداث مثالات خياليَّة لا وجود لها في الحس وقد يطلق على ايجاد تلك المثالات بصورها في الحسن . ويظهر من هذا التعريف انها نوع من الاستهواء فيؤثر انسان في آخر ويقنعهُ بانهُ يرى خيالات فيراها كما يقنع المنوّمِ المنوَّم بانهُ يرى ما لا وجود لهُ فيراهُ . وتعليل ذلك ان للمحسوسات كلها صوراً في ذهن الانسان فللتفاحة صورة وللبرتقالة صورة وللفرس صورة وهلمَّ جرًّا فاذا ذُكر اسم شيءٍ من هذه المسميات فالغالب ان يلتفت العقل الى صورتهِ الذهبية كما يلتفت اليها اذا رآهُ فان كانت عيناهُ مفتوحتين تريان ما امامهما وكان ذهنهُ مشغولاً بما يراهُ لم تتمثَّل لهُ الصورة العقليَّة جيداً ولكن ان كانت عيناهُ مغمضتين وكان ذهنهُ غير مشغول بما يراهُ بل بما يشعر بهِ في الداخل تمثَّلت لهُ الصورة الذهنيَّة واضحة فيراها كأنها في الخارج . ويكثر حدوث ذلك في الهواجس والحميات . ثم اذا ضعفت القوة المميزة بالنوم او بالتنويم او بالمرض تعذر على المرء ان يحكم بان ما يراهُ صورةٌ عقليَّةٌ لا وجود لها في الخارج فيبقى على شعورهِ الاول وهو انها صورة شيءٍ حقيقي ولذلك يحسب النائم انهُ يرى ما يحلم بهِ حقيقة ويحسب المحموم ان الصور الخيالية التي يتصورها اشباح حقيقية

### (٤) الحسد

ومنهُ . هل الحسد حقيقي او هو اشبه بالحب

ج الحسد شعور حقيقي في النفس فيتألم الحاسد من نعمة غيرهِ ويتمنَّى زوالها . وهو متولّد اصلاً من الجهاد وطلب الكسب والشعور بالالم عند الخيبة . فاذا قوي هذا الخُلق في انسان ولم يُصلَح بالتربية وتهذيب النفس بقي يشعر بالخسارة كلما رأى ربحاً لغيرهِ . وهو خلق في النفس مثل الحب والكرم ولكنهُ خلق رديء يضرُّ ولا ينفع

### (٥) فعل الحشيش

ومنهُ . هل الحشيش يذكي العقل كما يقولون

ج قد يحدث عنهُ شيء من التنبُّه اولاً ولكن يعقبهُ خمول ونتيجتهُ ضعف العقل واختلال قواهُ ولذلك فاكثر المجانين في بيمارستان المجانين في هذه العاصمة من مستعملي الحشيش

### (٦) لبس الصوف

ومنهُ . ايهما افيد أإستعمال الصوف ملاصقاً للبشرة او منفصلاً عنها بقميص من القطن مثلاً

ج ملاصقاً للبشرة لانهُ يمتص المواد الدهنية من البدن ويحفظ حرارتهُ ويقيهِ من الحر والبرد

### (٧) عدوى الزهري

ومنهُ . يقولون انهُ توجد اجسام لا تتأثر من الداء الزهري ولا تصاب بهِ مطلقاً فهل ذلك صحيح

ج يقول الباحثون في هذا الموضوع ان الامم التي تصاب بهذا المرض ويستمرُّ فيها زماناً طويلاً يتطعَّم دمها بهِ حتى يضعف فعلهُ بها وحينئذٍ قد يتعرَّض لهُ بعض افرادها ولا يُصابون بهِ او تكون الاصابة خفيفة يتغلَّب عليها دمهم من غير ان تظهر اعراضها فيهم

---

### (٨) العلم والتعصب

سان باولو بالبرازيل . الخواجه ابرهيم شحاده فرح . لقد اكثرت مجلاَّتنا العلميَّة وجرائدنا العمرانية من البحث عن اسباب انحطاط الشرق واجمعت على ان الاسباب الرئيسة لانحطاطهِ هي الجهل والتعصُّب الديني وقالت ان الاول اصل والثاني فرع فمتى زال الاول زال الثاني. غير اننا نرى اكثر المتعلمين من الشرقيين اشد تعصُّباً من غيرهم واكثر تأييداً للجامعة الدينيَّة فاذاً ما هو الدواء الناجع لازالة التعصُّب الديني من الشرق والمشارقة

ج اننا اذا ذكرنا فائدة العلم في هذا المقام اردنا بهِ التربية العقلية والادبية فاذا أُحسنت تربية الناس حتى تهذَّبت اخلاقهم ورسخ في نفوسهم ان الدين من وسائط تهذيب النفس لا من وسائل الكسب ونفوذ الكلمة زال منهم الجهل الذي يؤدي الى التعصُّب الديني. اما الذين يتعلمون ولا تتهذب اخلاقهم

فيكتفون باتخاذ العلم وسيلة للكسب واذا وجدوا في التعصب الديني مغنماً التمسوهُ وتذرعوا بهِ للكسب

### (٩) التعصب الجنسي

ومنهُ . نرى التعصُّب الجنسي او الوطني بالغاً مبلغاً عظيماً في هذه البلاد وكذلك نقرأُ عن البلدان الاوربية حتى اصبح الاجنبي مهضوم الحقوق غالباً وقلما تبرئ المحاكم اجنبياً اعتدى على وطنيّ . فهل ترون ان هذا التعصب من واجبات الامم الحية المرتقية ومن لوازم العمران او هو وهم يزول في مستقبل الايام كما زال قبلهُ التعصُّب الديني في أوربا

ج هذا التعصُّب الجنسي كان لازماً في اوائل العمران لما كانت اسباب المعيشة قليلة او صعبة المنال اما الآن فلم يبقَ لهُ موجب عند الامم المرتقية بل صارت هذه الامم تسرُّ بمن يضاف اليها وتعدهُ كسباً كما تسرُّ بزيادة مواليدها ولذلك نجد الانكليز يكرمون الالمانيين الذين نزلوا بلادهم واستوطنوها مثل عائلة بارنغ ومثل مكس ملر وتجد الناس من كل الامم تهاجر الى الولايات المتحدة الاميركية وتستوطنها ولا يشكو الاميركيون الاَّ من البُهَّل والكسالى الذين يعيشون من تعب غيرهم ولا تكتسب البلاد منهم . فالعمران آيل الى ازالة التعصُّب الجنسي من الذين يستوطنون بلاداً واحدة ولكنهُ لم يصل حتى الآن الى ازالة هذا التعصب من بين الامم المختلفة مثال ذلك ان الامة الانكليزيَّة لا ترضى بنجاح الامَّة الالمانية لانها تعدها مزاحمة لها ومناظرة اياها في الجهاد العام . وسيزول هذا التعصب ايضاً اذا كثرت الخيرات وسهلت اسباب المعيشة جدًّا وقلَّ العائشون على اكتاف غيرهم من اهل السيادة الذين يقسمون الامم ليسودوها

### (١٠) الجنين او الوالدة

بيروت . ج . ز . دُعي طبيب لتوليد امرأَة حامل فوجد انهُ لا يستطيع ان ينقذها وينقذ جنينها معاً ولا بدَّ لهُ من المجازفة في واحد من الاثنين لتخليص الآخر فاي نفس اولى بالتخليص

ج تخليص المرأَة اولى لانها اثمن عند الامَّة بما أُنفق على معيشتها وتربيتها ولان الحياة مقدورة لها اكثر ممَّا هي مقدورة للطفل فان الاطفال يموت نصفهم قبل السنة الرابعة او الخامسة واما النساءُ فلا يموت نصفهنَّ في خمس سنوات ولا في عشر سنوات

### (١١) شرب الماء السخن

اخميم . مرقس افندي ميخائيل اعتدت شرب الماء السخن قبل الفطور قدر نصف فنجان شاي فرأَيت انهُ مفيد في تقليل كمية شرب الماء نهاراً فهل من ضرر يحتمل حصولهُ في المستقبل من شرب الماء السخن

ج ان شرب الماء السخن لا يضرُّ بل ينفع ولاسيما قبل الاكل لانهُ يغسل جدران المعدة من المادة المخاطية التي تكون لاصقة بها فيقوى فعلها على هضم الطعام سريعًا . ولا نرى وجهًا لحصول الضرر منهُ في المستقبل الاَّ اذا اعتادتهُ معدتكم ثم اضطررتم ان تبطلوهُ . ولذلك لا يحسن بالمرء ان يعوّد جسمهُ شيئًا وهو لا يستطيع ان يستمر عليهِ

### (١٢) الماء والطلمبا

ومنهُ . اذا غرزت طلمبا في ساقية عمقها ستة امتار وانزلت الطلمبا ستة امتار أُخرى فهل يصعد الماء فيها بدون آلة رافعة

ج لم يتضح لنا مرادكم ولكن ان كنتم تريدون هل يصعد الماء في انبوب الطلمبا اثني عشر مترًا فالجواب انهُ لا يصعد اذا كانت المروحة او الاسطوانة التي تحدث الفراغ عالية ١٢ مترًا عن سطح الماء . لان الماء يرتفع في الطلمبا بضغط الهواء الجوّي وهذا الضغط يساوي نحو ٣٤ قدمًا من الماء فاذا حصل فراغ فوق الماء ارتفع فيهِ نحو ٣٤ قدمًا لا اكثر ولكن اذا وضعت المروحة على علو تسعة امتار فوق الماء وارتفع الانبوب فوقها ثلاثة امتار اخرى او اكثر ارتفع الماء فيهِ حسب قوة الآلة الرافعة

# باب الاخبار العلمية

## عجائب الراديوم

الراديوم عنصر من عناصر الارض اكتشفهُ المسيو كوري وزوجتهُ منذ نحو خمس سنوات كما ذكرنا في جزء فبراير سنة ١٨٩٩ وقد ثبتت لهُ الآن خاصَّة جديدة لم تثبت لغيرهِ من العناصر وهو انهُ تتولَّد منهُ الحرارة من غير ان يحدث فيهِ اقل تغير كيماوي او نحوهِ وتشعُّ منهُ هذه الحرارة الى ما حولهُ ثم يتولَّد غيرها فيهِ وهلمَّ جرًّا كأَنهُ يجمع بعض القوة من الاثير المحيط بهِ ويحولها الى حرارة . اكتشف هذه الخاصة المسيو كوري وزوجتهُ واطلع عليها اكادمية العلوم بباريس فانهُ وجد ان حرارة ملح الراديوم تكون اعلى من حرارة الهواء المجاور لهُ درجةً ونصف درجة بميزان سنتغراد وتبقى كذلك دائمًا فاذا وضع في الثلج اذابهُ وتبقى حرارتهُ اعلى من حرارة الثلج درجة ونصف درجة ولو استمرّ وضع الثلج حولهُ اشهرًا

وقد ثبت قبل الآن انهُ يخرج من الراديوم اشعَّة اذا وقعت على لوح مدهون ببلاتنيو سيانيد الباريوم او كبرتيد التوتيا جعلت ذلك اللوح ينير كأَن فيهِ مادة فصفورية .

وامتحن السر وليم كروكس ذلك امام الجمعية الملكية ببلاد الانكليز في اواخر الشهر الماضي ( مارس ) فبيَّن للحضور انهُ يصدر من الراديوم ذرات صغيرة جدًّا تقع على اللوح المشار اليهِ فتنير حالما تصيبهُ كما تنير قنابل المدافع حينما تصيب الغرض . ويختلف النور البادي على اللوح باختلاف نوعهِ كما ان المطر الواقع على لوح قد يبللهُ كلهُ وقد يتجمع نقطًا منفردة . وكان مع السر وليم كروكس مقدار قليل جدًّا من ملح الراديوم وهو بضع ميليغرامات لكنهُ ابان ان كل جسم يلمسهُ ينير بهِ اللوح المذكور آنفًا كأَنهُ دهن بالفصفور ومع ذلك يبقى ملح الراديوم على حجمهِ ووزنهِ ولا يظهر فيهما اقل نقص

اما انارة الراديوم للاجسام المتصلة بهِ فلها شبيه في الاجسام الفصفورية وفي الفصفور نفسهِ ولكن إشعاعهُ الحرارة من غير ان تقل حرارتهُ لم يكشف لهُ مثيل في الطبيعة حتى الآن وهو اغرب اكتشافات العصر. وقد ابان المسيو بكرل قبلاً ان عنصر الاورانيوم يشع اشعة تؤَثر في الواح التصوير الشمسي كما ذكرنا غير مرة الآن المسيو كوري وزوجتهُ بيَّنا الآن ان الراديوم اقوى من الاورانيوم من هذا القبيل خمس مئة الف ضعف . واشعَّة الراديوم هذه شديدة الفعل فسيولوجيًّا فاذا وُضع في زجاجة ووضعت الزجاجة قرب جلد الانسان بضع ساعات قرَّحتهُ لانها تتلف بشرتهُ وادمتهُ اي الجلد الظاهر والباطن ولكن لا يتصل فعل الراديوم الى النسيج الخلوي الذي تحت الجلد فلا يغور الجرح في الجسم بل يبقى سطحيًّا . واذا كانت الاعصاب قريبة من سطح الجلد اماتها . وهذه الافعال كلها من الغرائب التي لم يعهد لها مثيل

## رئاسة المدرسة الكلية السورية

يحتفل في العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر مايو المقبل بتنصيب الدكتور هورد بلس رئيسًا للمدرسة الكلية الاميركية في بيروت. وقد أُرسلت اوراق الدعوة الى هذا الاحتفال بامضاء المستر مورس جسب رئيس لجنة وكلاء المدرسة في اميركا والمستر ستورث ضدج سكرتيرها. فتتلى في اليوم الاول وهو يوم الاحد خطب موضوعها اسس الايمان الديني وتجتمع في اليوم الثاني جمعيات المدرسة العلمية والادبيَّة وتُلعَب فيهِ الالعاب الرياضية ويسمَّى يوم التلامذة . وتتلى في اليوم الثالث خطب من التلامذة المنتهين والذين تخرَّجوا في المدرسة وتولم لهم وليمة ويستقبل الرئيسُ السابقُ الرئيسَ الجديدَ والاساتذة وزوجاتهم في النادي الجديد المسمى بنادي بوست . وتقام في اليوم الرابع مذاكرات ومحاورات علميَّة

## هبات اميركا لسوريا

بينما نرى اهالي القطر المصري يبذلون

الجهد في جمع المال لانشاء مدرسة عالية في الاسكندرية فلا يجتمع لديهم عشرة آلاف جنيه نرى لجنة وكلاء المدرسة الكلية السورية تجمع لها المال من محسني اميركا بمئات الالوف فقد اتصل بنا حين كتابة هذه السطور ان اللجنة المشار اليها عزمت على جمع نصف مليون ريال اي مئة الف جنيه وقد جمعت منها حتى اوائل الشهر الماضي ١٢٧ الف ريال اي اكثر من خمسة وعشرين الف جنيه ولا بدَّ من ان تنجح في جمع المال المطلوب ولكن تبقى فائدة تلك المدرسة لبلاد الشام قليلة جدًّا ما دامت حكومة البلاد تأبى الانتفاع بها

## كيف تعشب الارض

مَن ينظر الى الاراضي القاحلة في هذا القطر وليس فيها نبات اخضر يعجب من نمو انواع مختلفة من النبات حيث لا يزرعها الانسان ولكن لو وقع المطر في هذا القطر كما يقع في غيرهِ من الاقطار ما رأيت شبرًا من الارض خاليًا من النبات سواءٌ زرعهُ الانسان فيهِ او لم يزرعهُ فان الرياح والطيور تنقل البزور من مكان الى آخر وتفرّقها على وجه الارض . مثال ذلك انهُ لما ثار البركان في جزيرة كراكاتوى سنة ١٨٨٣ لم يبقِ فيها حيًّا لا حيوانًا ولا نباتًا ثم زار الدكتور ترب تلك الجزيرة بعد ثلاث سنوات فوجد بعض الطحالب اخذت تنمو على الحمم البركانية فغطتها بمادة غروية حلَّلت الطبقة الظاهرة منها وجعلتها تربة صالحة لنمو الاشنان فنمت وبلغت انواعها حينئذٍ اثني عشر نوعًا ونمت معها نباتات اخرى من ذوات الازهار

وسنة ١٨٩٧ زار الجزيرة جماعة من علماء النبات فوجدوا انواع النبات قد كثرت فيها حتى بلغت ٥٣ نوعًا ورجحوا ان اربعة انواع منها حملتها الطيور الى الجزيرة و ١٨ نوعًا حملتها الرياح و٣٢ حملتها امواج البحر والقتها هناك . والجزيرة تبعد عشرين ميلاً عن جاوى وعشرين ميلاً عن سمطرة ولا يعلم ان انسانًا نقل اليها بزرة واحدة من بزور النباتات التي نبتت فيها

## جواهر المادة

كان المظنون منذ بضع سنوات ان جواهر الاجسام هي اصغر جزءٍ يمكن الوصول اليهِ منها . ولا شبهة في انها صغيرة جدًّا لا ترى بالعين ولا باقوى انواع الميكرسكوب ولكن قد ثبت الآن وجود جواهر اصغر منها جدًّا سُمّيت بالالكترون او الايون ( الشوارد ) وقد قال السر اوليفر لدج في خطبة خطبها حديثًا ان قطر الجوهر الفرد من الهيدروجين اكبر من قطر الشاردة من هذه الشوارد مئة الف ضعف. والشوارد تكون في الجوهر الفرد كالنمل في المدن واوضح ذلك بمثل قائلاً هب

اننا كبَّرنا الجوهر الفرد حتى صار مثل كنيسة كبيرة طولها ١٦٠ قدماً وعرضها ٨٠ قدماً وعلوها ٤٠ قدماً وكان فيها الف شاردة لا يكون جرم الشاردة منها اكبر من جرم النقطة التي توضع على الحروف المنقوط في هذه الصفحة . وبهذه الشوارد يعلل النور والكهربائية والجاذبيّة والاستمرار وسنأتي على خطبة الخطيب في جزء تالٍ

## هبات اميركية جديدة

وهب المستر جون ركفلر مئتي الف جنيه لمدرسة شيكاغو الجامعة ووُهبت تلك المدرسة هبات اخرى حديثاً يبلغ مجموعها ١٠٥٢٠٠ جنيه . وستنال مدرسة تولاين الجامعة مئتي الف جنيه من تركة المستر هتشنصن . ونالت مدرسة بنسلفانيا من الهبات في غضون السنة ما مجموعهُ ١٨٧٣٧٠ جنيهاً . ووهب المستر كجايت مدرسة كلجايت الجامعة عشرين الف جنيه بعد ان وهبها مئتي الف جنيه . والهبات التي مقدار الهبة منها عشرون الف جنيه وعشرة آلاف جنيه كثيرة فلا نتعرَّض لذكرها

## ثوران يزوف

ثار بركان يزوف في اوائل الشهر الماضي واشتدَّ ثورانهُ في الحادي عشر من الشهر فقذف اعمدة كبيرة من البخار وقطعاً من الحمم الملتهبة ارتفع بعضها الف قدم في الجو

## مصباح البكتيريا

يتذكر الذين زاروا معرض باريس ودخلوا قصر البصريَّات انهُ عرضت عليهم هنالك قناني صغيرة فيها سائل ينير في الظلام ولاسيما اذا حرّك . وسبب الانارة وجود احياء صغيرة تنير في الظلام كالاحياء التي ينير بها ماء البحر احياناً . وقد جاء من فينَّا الآن ان الاستاذ مولش صنع مصباحاً ينير بهذه الاحياء او الميكروبات فيبطَّن من الداخل بالهلام وملح البارود وتزرع فيهِ الميكروبات المنيرة فلا يمرُّ يومان حتى يأخذ المصباح ينير بنور ساطع ويبقى نورهُ ساطعاً اسبوعين او ثلاثة

## الاستاذ هركنس

توفي الاستاذ هركنس مدير مرصد الحكومة الاميركية في مدينة وشنطون وكان من علماء الفلك المعدودين تولَّى ادارة ذلك المرصد وتدريس علم الفلك منذ سنة ١٨٦٣ وبهمتهِ صار لمرصد وشنطون الشان الاول بين المراصد الكبيرة

## رئيس المجمع البريطاني

انتخب المستر بلفور وزير انكلترا الاول رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني في اجتماعهِ التالي سنة ١٩٠٤ في مدينة كمبردج . ومتى صار وزراء بلاد رؤساء مجامعها العلمية عن اهليَّة تامَّة فبشرها بالفلاح التام

## الكتابة الافرنجية القائمة

اثبت بعضهم ان الكتابة الافرنجية المائلة الحروف تجعل الكاتب ينحرف ويحرف عمودهُ الفقري فتتشوه قامتهُ واشار ان يتعلَّم الاولاد الكتابة القائمة الحروف فيسلموا من هذه الشائبة

## شركات الترنسفال

في جنوبي افريقية ٣٥٠ شركة من الشركات الصناعيَّة التجارية لاستخراج الماس والمعادن وما اشبه رأس مالها نحو ١٢٥ مليون جنيه

## جرائد تلغراف مركوني

انشأَت ست من السفن البخاريَّة التي سير بين اوربا واميركا جرائد اخبار تجمع الاخبار بتلغراف مركوني وهي في عرض الاوقيانوس وتطبعها وتنشرها على الركاب

## امتلاك بركان

اشترى جماعة من الاميركيين بركانًا في بلاد المكسيك بمليون جنيه لكي يستخرجوا منهُ الكبريت الراسب حول قنتهِ

## عاصفة بلاد الانكليز

ثارت عاصفة شديدة على البلاد الانكليزية في السابع والعشرين من شهر فبراير الماضي بلغت سرعة الريح فيها ٩٢ ميلاً في الساعة فقلبت قطارًا من قطرات سكة الحديد واقتلعت ما لا يحصى من الاشجار وقطعت اسلاك التلغراف ويقال انهُ لم تصب تلك البلاد بعاصفة مثلها منذ ٦٤ سنة الى الآن

## مركبة مصرية قديمة

اضيف الى المتحف المصري في هذين اليومين الجانب الامامي من مركبة الملك تحتمس الرابع من ملوك الدولة الثامنة عشرة الذي كان قبل المسيح باكثر من الف وخمسماية سنة . وهو صفيحة من الخشب ملبَّسة بالمقوَّى من الداخل والخارج شكلها كنصف اسطوانة مجوفة خطوطها كلها منحنية انحناءً جميلاً وسطحاها الظاهر والباطن مغطيان بالنقوش البديعة وعلى السطح الظاهر صورة واقعة حربية رمزيَّة فترى على الجانب الايمن الملك واقفاً في مركبتهِ يجرها جوادان وقد اوتر قوسهُ وقتلى الاعداء وجرحاهم تحت عجل المركبة ومركبات جنودهِ سائرة امامهُ وعلى الجانب الايسر تراهُ واقفاً في مركبتهِ وقابضاً على نواصي اعدائهِ . والاعداءُ كلهم من شمالي سوريَّة شم الانوف قصار اللحى كالاكراد او كالحثيين . وفي الوسط بين الجانبين صورة الآلهة بشت برأس لبوة وبدن صقر والشمس ذات الصلين فوق رأسها وتحتها الاسرى او امم الشمال مقيدين بالحبال بمصر العليا والسفلى . وعلى الظاهر والباطن كتابات ورموز كثيرة ربما اتينا عليها بالتفصيل في فرصة اخرى

## فهرس الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين

٢٨١ حروف الطبع العربيَّة ( مصوَّرة )
٢٨٧ السكة الهوائية
٢٨٨ طبائع الغربان
٢٩٥ خرائب الشام
٢٩٧ منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي ظاهر خير الله
٣٠٤ رأي ابن خاتمة في الوباء . لمحمد افندي كرد علي
٣١٠ رجال المال والاعمال ( مصوَّرة )
٣١٧ ظاهر العمر . لجرجي افندي يني
٣٢٤ نوادر التزوير
٣٢٧ المدارس الجامعة
٣٣٠ التصوُّف . لبحَّاث دمشقي
٣٣٤ الحياة كلها جهاد . لاحمد افندي رضا

* * *

٣٣٩ باب تدبير المنزل * المدارس السورية الانكليزية . تمريض المرضى . تنظيف الفرو . آداب المعاشرة . عض الاظافر . انحناء القامة
٣٤٦ باب المراسلة والمناظرة * رد على ردين
٣٤٨ باب التقريظ والانتقاد * حريق مكتبة الاسكندرية . مجلة السيدات والبنات . المباحث العصرية . تهانئ الدكتور بلس . حادثة المنشاوي . المكتشفات المصرية
٣٥١ باب المسائل * نقصان مياه الارض . انتقال جبل . السيمياء . الحسد . فعل الحشيش . لبس الصوف . عدوى الزهري . العلم والتعصب . التعصب الجنسي . الجنين او الوالدة . شرب الماء السجن . الماء والصلبا
٣٥٥ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٦ نبذة
رواية كليوباطرة ملحقة بالمقتطف

## الفصل السابع

"وسمعتُ تماجنس يقول لكليو باطرة ان تعلُّم الالسنة ضروري لان كل لسانٍ تتعلمينهُ تملكين بهِ شعباً فجعلتْ تتعلم اللغات الاجنبيَّة فتعلمت اللاتينيَّة اولاً وفي السنة الثانية قرأَت لقريتيوس كأنهُ كتاب يوناني وتعلمت اللغة المصرية ثم تعلمت العبرانية والعربية ولما زارت انطونيوس في طرسوس كانت تكلم القواد كلاًّ بلغتهِ حتى ظنها انطونيوس ساحرة. وهذا كان شانها في كل الدروس فانها سبقتنا فيها كلها لانها لم تكن تطيق ان ترى احداً يتقدمها في شيء

وأُولعت بقراءة لقريتيوس ولم تكن تحب الرومانيين ولكنها كانت تعجب بحماستهم . ولقد سمعتها مرةً تقول يا حبذا لو كان المصريون رومانيين اذاً كنت اسعى جهدي في الوصول الى عرش ابي

وكان لقريتيوس يذهب مذهب ايقورس كما يظهر من قولهِ "ان الحياة ليست سعادةً يرجى خيرها ولا الموت بلية يخشى شرها . ولا تستريح النفس الاَّ اذا كفَّت عن حسبان الموت مصيبةً فان من يعتقد ان الشعور والوجدان ينقطعان عند الموت لا يعُدْ يخشاهُ لانهُ يعلم انهُ اذا مات لم يعد يشعر بفقدان شيء فالاهتمام براحة الجسد بعد الموت سخافة لا مثيل لها" .

وهذا على ضد ما تعلِّم بهِ الديانة المصريَّة التي توجب على المرء ان يسعى لأُخراهُ قبل اولاهُ

وبذل انوبس جهدهُ في غرس اصول الديانة المصريَّة في نفسها فافلح لانها كانت تميل الى المذاهب الباطنية والى كل ما هو فوق الطبيعة . ولا بدَّ من انكِ رأَيتِ انوبس ومَن لم يرَ ذلك الوجل ومن ينساهُ اذا رآهُ ولو مرةً واحدةً فان لهُ سلطانًا على العقول وهو الذي جعل كليوباطرة تحب مصر مع انها يونانية ولا يجري في عروقها الاَّ الدم اليوناني . ولقد لقَّبوها بايسس الهة السحر عند المصريين فاطلعها انوبس على اسرار هذه الصناعة واقنعها برصد الافلاك واستحضار الاكاسير ولم يستطع ابي ان يصرفها عن ذلك لان الملك كتب اليهِ من رومية يقول انهُ سرَّهُ ما بلغهُ عن ميل كليوباطرة الى ديانة المصريين وتعاليمهم الخفيَّة

واهتدى الملك وهو في رومية الى سياسة الدينار فافاض النضار على عظماء الرومان وسباهم بنوالهِ حتى قرُّوا على بقاء البطالسة في مصر . وكان بمبايوس يودُّ ان يجيء بهِ اليها بنفسهِ ولكن اشتدت الغيرة بينهُ وبين غيرهِ من كبار القواد فاجمعوا على ان يأتي بهِ غابينيوس والي الشام

وتزوَّجت برنيكي اخت كليوباطرة مرتين وخنقت زوجها الاول اما الثاني فكان بطلاً مقداماً اختارهُ لها اهالي الاسكندرية فحاول الدفاع عن ملكها وقتل في حومة الوغى

وكان عمر كليوباطرة حينئذٍ اربع عشرة سنة . كانت كما ترينها في هذه الصورة آيةً من

آيات الجمال ثم زاد وجهها جمالاً وقدها اعتدالاً مع الايام . كانت عيناها تتلألأن كالكواكب وشفتاها تسبيان من ينظر اليهما ووجنتاها مطبوعتين بنونتين تتعشقهما العيون وكان شعرها ضاربًا الى الشقرة واختي شارميانُ مغرمة بتسريحهِ وعقصهِ . ولا انسى يومًا دخلتْ فيهِ الهيكل في عيد ايسس واضطرّتْ ان تسدلهُ على ظهرها فلما عادت الى البيت هزّت رأسها فغطى جسمها كلهُ كأنهُ ذَوْب النضار او سكائب الماء في شلال اصوان . وكانت تحترم ابي وتثق بي وتجل انوبس وتسرُّ بمجادلة تماجنس لكنها لم تكن تفضل واحدًا على آخر من كل الذين تراهم حولها

ولما شاع ان الرومانيين عزموا على رد الملك الى مملكتهِ جاءتنا الملكة برنيكي لتأخذ كليوباطرة واختها الى الاسكندريَّة فطلبت منها كليوباطرة ان تبقيها عندنا لكي لا تنقطع عن دروسها فنظرت اليها نظر الهزء وقالت لزوجها اني لا ارى في قراءة الكتب خطرًا يخشى منهُ وتركتهما عندنا

وكان بوثنيوس وكيل البرنسين اخوي َكليو باطرة يسمح لهما احيانًا بزيارة اختيهما فيأتيان الينا وعلى جبهة كلٍّ منهما الناصية التي تميز اولاد الملوك في عُرْف المصريين ولكن لم يعد يسمح لهما في ذلك حينما ثبت ان الرومانيين عزموا على رد ابيهما

ولما بلغنا ان الرومانيين وصلوا الى غزّة كادت ارسنوى تطير فرحًا اما كليوباطرة فكانت تلجم عواطفها ولكن عينيها ووجنتيها كانت تظهر ما في قلبها رغمًا عنها

ووصل غابينيوس مع الملك ولكن لم يذكرهما احد لان الالسنة كلها كانت تلهج بذكر انطونيوس قائد الفرسان فانهُ قاد الجيوش من الشام الى مصر ولم يفقد رجلاً واحدًا ولما وصل الى بلوزيوم كان فيها حامية من اليهود فسلّمتها اليهِ من غير قتال . والتقى بالجنود المصرية في معركتين كان النصر لهُ فيهما وقتل في الثانية منهما زوج الملكة برنيكي

وبلغنا عن انطونيوس من الاخبار حينئذٍ ما تترطب بذكرهِ الالسنة فقد قيل انهُ من اعرق بيوت الرومانيين وهو ابسل ابطالهم واجمل شبانهم . وكان مع كليوباطرة رفيقة رومانية تعلمها اللسان اللاتيني فقالت انها رأتهُ مرارًا وسمعتهُ يتكلم وان اهالي رومية رجالاً ونساءً لا حديث لهم الاَّ في فعالهِ وان نسبهُ يمتد الى معبودهم هرقل كما تدلُّ هيئتهُ الى غير ذلك من الاقوال التي يسرُّ الفتيات بسماعها . وكان تماجنس يكرههُ ويقول انهُ عارٍ من كل فضيلة فتحمرُّ كليوباطرة خجلاً ثم تصفرُّ وجلاً ولا تقول شيئًا

ولما تمَّ النصر لجنودهِ سار هو والملك وحاشيتهما وجدُّوا السير الى الاسكندرية وكان لا بدَّ لهم من ان يمرُّوا بنا . وارسل الملك رسولاً امامهُ يقول انهُ يودُّ ان يرى ابنتيهِ فلبستا

لباساً فاخرًا وامسكت كلٌّ منهما طاقة من الازهار في يدها وسار والداي معهما الى باب الحديقة ووصل الملك وترجل من مركبتهِ الحربية وكانت تجرها ثمانية من الجياد المادية البيضاء ولما وقعت عينهُ على ابنتيهِ بدت دلائل السرور على وجههِ فاعتنقهما. وكان جمال ارسنوى فائقاً ولكنها اذا وقفت مع اختها كسفها جمالها كما تكسف الشمس القمر. ولا يحسن تشبيهها بالشمس لان الشمس تبهر النظر فينبو واما من ينظر الى كليوباطرة فيود ان لا يرفع عينيهِ عنها لانهُ يرى في كل لحظة معاني جديدة ويودُّ ان يكتشف سبب السحر البادي من عينيها ووجهها وقوامها

ولما نظر انطونيوس اليها وقف مبهوتاً كانها سبتهُ بجمالها الفتَّان ثم قال لها الا تشكرينني لانني رددت ابيكِ اليكِ. فقالت انني كابنةٍ لابي اشكرك من صميم الفؤاد واما كفتاةٍ مصرية فاخشى سوء العاقبة. فلما سمع هذا الكلام منها اخذتهُ الدهشة فوثب عن ظهر جوادهِ ودنا منها وجعل يكلمها ولم نكن نسمع كلامهما جيدًا ولكننا كنا نسمعهُ يضحك مرةً بعد أُخرى. وكانت قليلة المزاح عادةً واذا كلمها تماجنس مازحاً صمتت ولم تجبهُ الَّا نادرًا اما الآن فكانت تردُّ نكت انطونيوس بأبدع منها كأنَّ بداهتها لم تجد لها ميداناً تظهر فيهِ الَّا مع هذا الرجل ومع ذلك لم تتعدَّ حدود الحشمة فلم تظهر اقل شيءٍ من الخفة والطيش بل بقيت على تمام الرصانة بخلاف ارسنوى فانها لما رأَت انطونيوس ترجَّل ودنا من اختها دنت هي منهُ ثمَّ لما رأَت انهُ لم يلتفت اليها عضَّت شفتها وعلتها حمرة الغيظ . وكنت اعرف اطوارها جيدًا فعلمت انها تكاد تبكي حنقاً فشفقتُ عليها ووددتُ ان ادنو من انطونيوس واسرَّ في اذنهِ قائلاً ان هذه ايضاً ابنة الملك مثل تلك فلا تغضَّ الطرف عنها

ثمَّ حدث ما هو اشد نكاية من ذلك فان الملك كان قد اخذ طاقتَي الازهار من ابنتيهِ والتفت الى انطونيوس وقال لهُ لقد حان الوقت لذهابنا فاخذ انطونيوس طاقةً منهما من يدهِ وقال لهُ ان من كان لهُ مثل هاتين الزهرتين فلا حاجة بهِ الى الازهار ثمَّ اعطى الطاقة الى كليوباطرة وقال لها انهُ يرجو ان يراها في الاسكندرية ووثب على ظهر جوادهِ وسار

وسرَّ الملك بما رآهُ من ذكاء كليوباطرة واعرب عن سرورهِ لابي فوهبهُ القصر والبستان وامر بتسجيل ذلك باسمنا في اليوم التالي وكان هذا اول امرٍ اصدرهُ بعد امرهِ بقتل ابنتهِ برنيكي

مَن رأى ذلك الملك مع اولادهِ يظن انهُ من اشد الناس شفقة وحناناً ولكنهُ كان ذئباً خاطفاً ولولا انطونيوس لقتل نصف سكان الاسكندرية لكن انطونيوس منعهُ من ذلك وامر ان يسار بجنازة زوج برنيكي باحتفال عظيم

ولما سار بهِ جوادهُ التفت قبل ان غاب عن نظرنا وودَّع كليوباطرة بنظرة اخرى اما

ارسنوى فكانت قد دخلت الحديقة ورأينا بعد قليل وجنتيها وارمتين من البكاء . ومن تلك الساعة تمكنت بغضة كليوباطرة من قلبها

وبعد ايام امر الملك فأُنزلت الاميرتان الى الاسكندرية واستُقبلتا باحتفال ملكي عظيم وأُجلستا على عرش من الذهب تظلله' قبة من ريش النعام وسير بهما في شارع الملك يحف بهما عظماء المملكة ورؤساء الجيش والحرس الملكي واعضاء مجلس الشيوخ . وودعتنا كليوباطرة قبل خروجها من بيتنا كما تودع الابنة والديها واخوتها وقالت انها لا تنسى فضلنا عليها . ولا انسى ساعة وقفتُ لوداعها“

وهنا دخل عبد وقال ان الرسول قد جاء فنهض ارخبيوس وسار بالرسول الى غرفة الاستقبال ليسمع ما يقول على انفراد

## الفصل الثامن

وعاد الرسل الذين ارسلهم ارخبيوس لتنسُّم الاخبار ولم يقفوا على حقيقة شيء وبعثت ايراس تدعوهُ اليها في الصباح التالي . وكان نائب الملكة باذلاً اقصى الجهد للوقوف على اخبارها لكن ارخبيوس لم يكن يثق بما يبلغ رجال الدولة من الاخبار لكثرة المتملقين اليهم وحسب انهُ اقدر منهم على معرفة الاخبار الصحيحة . ثم جاء رسول آخر يقول ان الايبقورس يكون مستعدًّا للاقلاع بهِ بعد ساعتين من الزمان وهو من اسرع البوارج اهدتهُ كليو باطرة اليهِ وقد عزم الآن ان يركبهُ ويضرب في عرض البحر لعله' يلتقي بسفن آتية من قبلها. وقال الرسول انهُ سيأتيهِ بالمركبة بعد ساعتين لتقله' الى السفينة. فعاد الى بارين وامها وقال لهما لا تواخذاني اذا اضطررت ان انتظر المركبة ههنا في هذا الوقت من الليل فقالتا له' انهما مسرورتان جداً بزيارتهِ وقدَّمتا اليهِ شيئًا من الطعام والشراب فاكل قليلاً ثم عاد الى حديثهِ فقال

” ومضت بضع سنوات لم يحدث فيها امر ذو بال وكنت مشغولاً بدروسي عن تتبُّع الحوادث وكانت كليو باطرة وارسنوى تجلسان في كل احتفال كبير كأَنهما ملكتان. وطلقت كليو باطرة الراحة والسكينة حين خرجت من بيتنا ودخلت في غمار العالم فانها لم تكن ترى في الاسكندرية غير المواكب والمحافل وكأَنَّ نفسها كانت تنبو عن ذلك لانها كانت تتردَّد علينا مرةً بعد اخرى وتقيم عندنا اياماً ولم تأتِ ارسنوى معها قط لانها كانت قد احبَّت قائداً المانيًّا من رجال غابينيوس الذين تُركوا حامية في الاسكندرية واحبَّت ايضاً شابًّا مكدونيًّا من حرس القصر . ولامتها كليو باطرة على ذلك وطلبت منها ان تضع حدًّا لقال الناس وقيلهم فتمكنت

العداوة بين الاختين من ذلك الحين و بعدت كليو باطرة عنها لانها كانت تترفع عن الدنايا ثم عكفت على فلسفة اليونان وكانت تتردد على الميوزيوم تباحث الفلاسفة وتجادلهم ولم تغضَّ الطرف عن احوال السياسة بل كانت تعرف كل ما يجري في رومية وما يقع بين احزابها من المشاحنات والمضاغنات وتعرف ايضاً اخلاق زعماء الامَّة الرومانية وما يرمون اليهِ . وتتبعت سير انطونيوس بعاطفة الحب وكانت تنتظر منهُ العظائم ولكن سلوكهُ اضعف آمالها فصار كلامها عنهُ لا يخلو من شيءٍ من اللوم

ونظرت الى بمبايوس الذي كان السبب في ارجاع ابيها الى عرشهِ كأنهُ رجل مسعد لا كانهُ اهل لما خُصَّ بهِ من الاكرام والنجاح . اما يوليوس قيصر فحسبتهُ اعظم رجال رومية وذلك قبل ان لقيتهُ الَّا انها خافت من ان تطمح عيناهُ الى مصر فيجعلها ولاية رومانية . وحسبت انهُ لا بدَّ من ان يستولي على المسكونة كلها ويزيل الطغيان منها ولكنها كانت تفضل ان يتم ذلك على يد انطونيوس لا على يدهِ . وكانت تستعمل السحر والتنجيم لكي تكشف ما يأول اليهِ امرهُ في المستقبل وابوها يسرُّ بذلك لانهُ كان يعتمد على الالهة ايسس الهة السحر ويحسب انها سوف تنجيهِ من المشاكل التي وقع فيها

وكان اخواها لا يزالان صغيرين ووكيلهما بوثينوس ومعلمهما ثيودوطس من الدهاة وقد اتفق هذان الرجلان مع اخلأس قائد الجيش على تمليك ديونيسوس ولي العهد لكي تكون ادارة البلاد في يدهم لكن الملك احبط مساعيهم وجعل كيلوباطرة ولية لعهدهِ واوصى ان تتزوج باخيها ديونيسوس وتشركهُ معها في الملك. ولما بلغ هذا الخبر رومية اشمأزَّت منهُ النفوس مع انهُ عادة متَّبعة في بيت البطالسة والمصريون راضون بها

ومات الملك ونُصّبت كليوباطرة على سرير الملك وكان عمر ديونيسوس حينئذٍ عشر سنوات فقط فكتبت كتابها عليهِ حسب وصية ابيها واشركتهُ معها في الملك حسب الظاهر واهل الدسائس يقولون لهُ انهُ هو المالك الوحيد بعد ابيهِ . وابتدأت المشاكل والمتاعب التي نغصت عيشها ولا سيما من قبَل اختها ارسنوى . فقد كان عند ارسنوى خصي محنَّك اسمهُ غانيميوس ضمَّ اليها بوثينوس وغيرهُ من اهل السطوة مثل ثيودوطس واخلاَّس وكان هؤلاء الرجال يكرهون كليوباطرة لانها تعرف عيوبهم ولان مداركها اسمى من مداركهم فتألَّبوا عليها وكادوا يفوزون بخلعها لو لم يقم فتيان المدينة لنصرتها وكنتُ قد جُعلتُ رئيساً عليهم . كانوا كلهم من حزبها وكذلك اكثر اشراف المكدونيين في حرسها كانوا مستعدين ان يضحوا حياتهم لاجلها مع انها كانت تترفَّع عليهم وتجعلهم ينظرون اليها كأنها من الآلهة لا من البشر

كان عمرها سبع عشرة سنة لما مات ابوها لكنها كانت تعرف كيف تقاوم الاضداد وترد كيد الاعداء في نحورهم. وجعلتْ اختي شارميان في خدمتها فاخلصت لها الحب وكانت اختي جميلة المنظر في صباها لكن جمال كليوباطرة وسحر عينيها فتناها وحجبا جمالها فتعلق قلبها بها . وتقدم لخطبتها رجل كريم وهو الذي صار زوجك يابرنيكي فردتهُ لكي تبقى في خدمة مولاتها ومن ثمَّ الى هذا اليوم وهي قاصرة قلبها وحبها عليها . وهي تحبك يا بارين لانها كانت تحب اباكِ وتكرمهُ. وايراس ابنة اختي الكبرى وكانت امها قد تزوجت لما ائتمن الملك ابي على تعليم ابنتيهِ وهي اصغر من كليوباطرة بثلث عشرة سنة وتحبها كما تحبها شارميان وكان ابوها على جانب عظيم من الثروة وقد بذل كل جهدهِ لكي يمنعها من الدخول في خدمة كليوباطرة فلم يفلح فانها حالما رأتها وتكلمت معها عشقتها ولم تعد تستطيع فراقها

ولكن لا بدَّ من الايجاز في وصف تلك الحوادث . تعلمان كيف فتنتْ كليوباطرة ابن بمبايوس لما زار الاسكندريَّة وكيف طالت الالسنة عليها لكنها كانت تقصد بتوددها اليهِ ان تستميل اباهُ الى حزبها لاجل مصلحة بلادها فاتَّهمها خصومها وانصار اختها بانها تقصد ضم مصر الى رومية اذا قبل مجلس رومية ان يحصر الولاية فيها وثار الجمهور عليها فاضطرَّت ان تهرب الى بلاد الشام لكي تستعين بامراء تلك البلاد وكان من نصيبي انا واخي ستراتون ان نحمل جواهرها فخرجنا من الاسكندريَّة ومعنا بعض العبيد والجمال وقصدنا غزَّة وكانت كليوباطرة قد وصلت اليها وشرعت في جمع الجنود

كانت القلاقل قد اشتدَّت في كل المسكونة ولا حديث للناس الَّا بقيصر وبمبايوس ولمن منهما يستتبُّ الفوز اخيرًا . وكانت اختي شارميان مع كليوباطرة لكن كان لها صديقة امينة في بلاط ارسنوى فاطلعتنا على الدسيسة التي يراد بها اغتيال بمبايوس . فانهُ لما دارت الدائرة عليهِ في واقعة فرسالوس قدم مصر لاجئًا اليها مقابل ما فعلهُ من المعروف مع ملكها وخاف بوثينوس ورفاقهُ ان يقبلوهُ في مصر فيغيظوا يوليوس قيصر فقال لهم ثيودوطس " ان الكلب الميت لا يعقر " فعزموا على العمل باشارتهِ

وبلغتُ انا واخي جبل القس على مقربة من العريش وضربنا خيمتنا هناك واذا بجيش جرار يسير وراءنا فأُسقط في يدي مخافة ان يكونوا دروا بنا وجدُّوا في اثرنا وارسلتُ جاسوسًا يتجسس اخبارهم فعاد مسرعًا وقال ان الملك معهم . ثم رأينا بارجة رومانية تدنو من البر فقلت في نفسي هذه بارجة بمبايوس وقد جاء الملك نفسهُ لاستقبالهِ

ونزل الجيش على الشاطئ عند هيكل القس ورأينا شيئًا احمر يلوح في الهواء فتبيناهُ واذا

هو رداء الملك وكان واقفاً على الشاطيء يستشرف البارجة وهي سائرة نحو البر وحينئذٍ نزل اخلاس وسبتيموس القائد الروماني في زورق صغير وسارا نحو البارجة وكان سبتيموس هذا من رجال بمبايوس ولبمبايوس عليهِ ايادٍ كثيرة. ولما وصل الزورق الى البارجة صعدا اليها ورأيناهما وقوفاً فيها يحدثان بمبايوس والظاهر انهما كانا يرحبان بهِ باسم الملك ورأينا امرأة طويلة القامة وهي كرنيليا زوجة بمبايوس تشير بيدها الى الملك شاكرة لهُ

كان بمبايوس في الثامنة والخمسين من عمرهِ لكنهُ كان لا يزال في عنفوان قوتهِ فوثب الى الزورق ونزل معهُ رجل من عتقائهِ وبعض الخدم واعمل البحارة المجاذيف، فلم يكن الاَّ دقيقة حتى دنا الزورق من البر ووقف اخلاَّس يشير بيدهِ وبمبايوس ينظر الى جهة الملك ووقف سبتيموس بجانبهِ كأنهُ يريد ان يساعدهُ على النزول من الزورق الى البر لكن بمبايوس رفع يدهُ بغتة وجمع رداءهُ وغطَّى بهِ وجههُ ثم رفعها ثانية في الهواء وللحال علت الضوضاء وسُلَّت السيوف ولعبت الخناجر ووقع بمبايوس بين يدي عتيقهِ . وعلا صراخ كرنيليا وهي تنادي وتقول وازوجاهُ وامصيبتاهُ شُلَّت ايادي الغادرين الماكرين . والملك يصفِّق بيديهِ طرباً ورجالهُ يقهقهون زجلاً ثم بوَّقت الابواق وابتعد المصريون عن الشاطيء وسار سبتيموس وبيدهِ رأس بمبايوس رأس ذلك القائد العظيم والملك الكبير الذي حارب حروب رومية في نصف المسكونة. ونشرت البارجة شراعها وسارت وغسل اخلاس يديهِ في ماء البحر حيث كان العتيق يغسل جثة مولاهُ وهو يهيل اللعنات على رأس اخلاس واخلاس لا ينبس بنت شفة ثم سار بالجند نحو بلوزيوم

كنت انا واخي واقفين على صخر صامتين ثم علا الغبار فحجب الملك عن بصرنا وغابت البارجة في ظهر البحر والتفت اخي الى جهة الاسكندرية وقال لي انظر فنظرت واذا الشمس فوقها حمراء كالجمر كأنها تسكب عليها دم النقمة

وخيَّم الليل رويداً رويداً واذا بنار شبَّت على الشاطىء فان العتيق ورفاقهُ رأَوا قارباً مكسراً فانتزعوا خشبهُ وجمعوا منهُ كومةً كبيرةً وضعوا عليها جثة بمبايوس واضرموا فيها النار

ووصل يوليوس قيصر الى الاسكندرية في اليوم التالي وقدَّم اليهِ ثيودوتس رأس بمبايوس وخاتمهُ فنظر اليهِ مغضباً وعزم على الاقتصاص من الذين ارتكبوا تلك الفعلة الشنعاء. بقي قيصر هنا تسعة اشهر ويقال ان كليوباطرة اغرتهُ بالبقاء ولا يخلو ذلك من الصحة. بقي ستة اشهر رغماً عنهُ لان احوال البلاد اقتضت ذلك وبقي ثلاثة اشهر اخرى حبًّا بها ولا غرابة في ذلك لانهُ احبها وتمكن حبها من قلبهِ وجراح الحب لا تشفى اذا جاءت على كبرٍ. ولم يكن حبهُ لها قاصراً

على ما يراهُ من جمالها الفتّان بل كان لسمو عقلها السلطة الكبرى عليهِ . عقلان كبيران اتحدا حالما التقيا لانّ كلاًّ منهما متمّم للآخر . وقد كنت اتوقع ذلك من قبل لان كليوباطرة كانت ترقبهُ وهو محلّق في سماء الشهرة والمجد وظلت تطير وراءهُ الى ان التقت بهِ

ووصلنا الى غزة وبلغَنا ونحن هناك ان قيصر دخل قصر البطالسة وقبض على زمام الاحكام. وخافت كليوباطرة من ان اعداءها يسلمونهُ البلاد من غير قيد ولا شرط لكي يقرّهم على ولايتها فعادت الى مصر مسرعةً لكي تقابلهُ بنفسها . والشائع انها حُملت اليهِ في كيس والحقيقة انها التفّت ببساط شامي وحملها اخي ستراتون الى بين يديهِ وقد رضيت ان تُحمل كذلك لانها لو حاولت الدخول اليهِ على طريقة اخرى لقُتِلت في الطريق . ولم أرَها اسعد ممَّا رأيتها معهُ

ونجحت ارسنوى واخوها ومشيروهما في اثارة خواطر السكان ضدَّهُ لكنهُ تغلَّب عليهم بحزمهِ وكان حبهُ لكليوباطرة واعجابهُ بعقلها يفوقان الوصف ولو شاء لذهب بها الى رومية ولكنهُ عصى قلبهُ وراعى ما تقتضيهِ المروءة والشهامة وعمل بوصيَّة ابيها الذي اوصى ان يكون المُلك من بعدهِ لها ولاخيها ديونيسوس فردَّ لهما عرش ابيهما ورد جزيرة قبرص الى مصر لكي يقيم عليها ارسنوى واخاها الاصغر . لكن هذا الترتيب لم يرضِ بوثينوس وغيرهُ من الذين كانت السلطة في يدهم فقاوموهُ بكل جهدهم وساعدهم جمهور السكان وكان ديونيسوس يكره كليوباطرة ولا يودّ ان تقتسم الملك معهُ لانهُ يكون صفرًا معها فانحاز الى الثائرين وانحازت اليهم ارسنوى ايضاً فنشب القتال بين الجنود المصرية وجنود قيصر وكانت جنود قيصر حفنة صغيرة لكنها حاربت حرب الابطال حتى كادت تفنى جوعًا وعشطًا وقتلاً ونجا قيصر من الغرق باعجوبة لكن ديونيسوس مات غرقًا. ومضت نصف سنة الى ان استتبَّ النصر لقيصر ونصب كليو باطرة على عرش مصر واشرك اخاها الاصغر معها وارسل ارسنوى الى رومية

ولما استتبَّ الامن في البلاد كانت مهام السياسة تدعو قيصر ليرجع الى رومية لكنهُ بقي في مصر ثلاثة اشهر ارضاء لكليوباطرة وصعد معها في النيل الى جزيرة ايسس وصعدتُ معهما في سفينة اخرى وكثيرًا ما كانا يدعوانني الى الطعام فآكل معهما واشاركهما في الحديث. سقت الالهة تلك الاوقات ما كان اصفاها وما اعلقها بالقلوب . كان قيصر وكليوباطرة يتناظران ويتجادلان ولكنهما لا يلبثان ان يصلا الى نتيجة واحدة لان لهما كليهما غرضاً واحداً وهو الوصول الى ما يسلّم بهِ العقل ولا يأباهُ الذوق السليم »

فقالت لهُ بارين انني اتصوّر تلك السفرة في النيل مثل سفرة كليوباطرة لما التقت بانطونيوس وكان شراع سفينتها حريرًا

" فقال كلاَّ وهي لم تتعلَّم الترَف الاَّ من انطونيوس اما قيصر فكانت مطالبهُ اسمى من ذلك كانت مسرَّتهُ في ما يراهُ فيها من ذكاء العقل واصالة الرأي واما انطونيوس فلم تتمكَّن من امتلاك قلبهِ كل هذه المدة الاَّ لانها استخدمت لذلك وسائط اخرى

فقالت بارين وهل هذا شأن من تقول ان الخير الاعظم في راحة البال

فقال ولكنها كانت مسيَّرة لا مخيَّرة كانت تطلب ما يسرُّها وكانت مسرَّتها الكبرى في راحة البال قبلما شبت نار الحب في قلبها ثم رأَت ان راحة البال شيء عزيز المنال وبقي فيها الميل الى السرور فطلبتهُ بكل واسطة ممكنة . وكان يجب على ابي ان يعلمها كيف تجني السرور من الصلاح لكنهُ اهمل ذلك ففاتها غرض ابيقورس وحسبت ان اللذة الجسديَّة تقوم مقام اللذة العقليَّة .ومع ذلك بقيتْ تحسب نفسها من تلامذة ابيقورس. ولما ذهب انطونيوس الى حرب الفرس واقامت وحدها مدة طويلة حاولت استرجاع ما خسرتهُ من راحة البال ولكنَّ مهام بلادها وتربية اولادها وزواج انطونيوس باكتاڤيا وسحر انوبس والاهتمام بالآخرة حسب تعاليم المصريين وحبَّ الشهرة واجتذاب القلوب والترفع فوق المناظرين كل ذلك "

وهنا دخل الرسول وقال ان السفينة على تمام الاهبة وهي في انتظار ارخبيوس

## الفصل التاسع

وكان ارخبيوس قد اوغل في تاريخ الماضي حتى نسي الحاضر ونسي نفسهُ والغرض الذي جاء لاجلهِ فلما سمع كلام الرسول بُهت اولاً ثم نهض وطلب من بارين وامها ان تخرجا من الاسكندريَّة حالاً فاعتذرت برنيكي بما اصاب اخيها وقالت انهُ يتعذَّر عليها ان تتركهُ وهو في تلك الحال وودت بارين ان ترى ديون قبل سفرها وودت كلتاهما ان تبقيا الى ما بعد مجيء الاخبار من كليوباطرة . اما هو فقال لا بدَّ من خروجكما من المدينة غدًا قال ذلك بصوت الآمر الناهي لا بصوت الصديق الودود . فاستغربتا ذلك منهُ لكنهُ استدرك حالاً وجعل يبين لهما ما يمكن ان يلحق بهما من التعب اذا تأخرتا في المدينة واعتذر عن الحدَّة التي كلمهما بها واخبرهما ان مركبتهُ الكبيرة تحت امرهما فتنقلهما الى بحيرة مريوط وتجدان هناك سفينة معدة لنقلهما الى قصرهِ. ثم صافحهما وخرج مسرعًا وكانت مركبتهُ في انتظارهِ فسارت بهِ تسابق الرياح

وكان القمر قد دنا من المغيب وانعكست صورتهُ عن البحر كأَنها المرآة في كف الاشل . وكان الفصل الخريف والجنوب تهبُّ حارَّةً وعلى جانب المرفإِ لسان طويل ممتد في البحر وعلى طرفهِ قصر بنتهُ كليوباطرة باشارة من انطونيوس وعلى الجانب الآخر قصر من الرخام الناصع

البياض على جزيرة المنارة المسماة بانتيرودس والمنارة وراءهُ والنار تتقد فوق رأسها فتمتد اشعتها في الافق والنسيم يلعب بالسنتها ويعبث بدخانها فيزداد الافق وراءها حَلَكًا

واجتمع الناس افواجًا على الرصيف وفي الزوارق مع ان الوقت كان بُعَيْد نصف الليل وكانت الريح تعبث بثيابهم وهم وقوف ينتظرون الاخبار . هذا هو الغرض الذي وقفوا لاجلهِ في تلك الساعة من الليل وكلٌّ منهم يودُّ ان لا تفوتهُ اخبار اول سفينة تدخل المرفأ من اسطول الملكة

ووقف الحرّاس يرقبون المرفأ الصغير . ومرَّت كتيبة من الفرسان السور بين آتية من الثكنة العسكريَّة الى قصر بوسيدُون اما المرفأ الكبير مرفأ السفن التجاريَّة فلم يكن دخول السفن اليهِ ممكنًا في ذلك الوقت لان عند مدخلهِ سلسلة كبيرة تمنعها من الدخول ليلاً مخافة ان تجيء باخبار كاذبة تقلق راحة السكان واذا جاءت بارجة من بوارج الدولة فالسلسلة تُرفَع لها لتتمكَّن من الدخول . وكثيرون من الوقوف هناك جاؤُوا من الاندية والمشاهد والحانات واماكن التنجيم ولكن كانت تجمعهم كلهم جامعة الانتظار وايجاس المكاره على ما تبيَّن ارخلُّس في وجوههم . وزاد عصف الريح حينئذٍ وثار بها الغبار فاضطرَّ كثيرون منهم ان يحنوا رؤُوسهم ويغطوا وجوههم بايديهم

ونزل ارخبيوس في البارجة واخذ اللاعب على الناي يلعب لكي يجذف المجذوفون حسب توقيع الانغام فسارت من المرفإ رويدًا رويدًا وارخبيوس جالس فيها يفكّر في ما مضى فلا يرى غير المتاعب والمكاره وينظر الى المستقبل فيراهُ مظلمًا مكفهرًّا ويتطلع الى السماء فيرى الغيوم تتسابق فيها فتُحجَب بها النجوم ثم تُجلى . وقال في نفسهِ ما اقدر اللسان على اخفاء الحقائق قال ذلك وهو يفكر في ما قصهُ على بارين وامها من سيرة كليوباطرة . فان كليوباطرة كانت تثق بهِ اكثر ممَّا تثق الاخت باخيها اما هو فكان يحبها وقد تمكن حبها من قلبهِ وهو فتًى . وعلمت هي ذلك فلم تؤَاخذهُ بل حسبتْ قلبهُ ملْكًا حلالاً لها . وامسك بيدها مرةً وشرع يشكو اليها ما يلاقيهِ من تباريح الوجد فنفرت منهُ بعُجْب وكبَر ولكنها ظلَّت تعاملهُ معاملة الاخ الودود كأَن لسان حالها يقول حبني ما شئتَ ولكن قفْ عند هذا الحد ولا تتعدَّهُ . كان ذلك قبل ان رأَت انطونيوس فلما رأَتهُ فُتنت بهِ كما فُتنَ بها وغار ارخبيوس منهُ لكنهُ قال في نفسهِ

هي الشمس مسكنها في السماء فعزِّ الفؤادَ عزاءً جميلا
فلا تستطيع اليها صعودًا ولا تستطيع اليكَ نزولا

نعم انها لم تقُل لانطونيوس ما يدلُّ على حبها لهُ ولا ذكرتهُ بعد ذهابهِ ولكن اهتمامها بامرهِ لم يخفَ على عين ارخبيوس . ولما رآها احبَّت قيصر واستسلمت الى حبهِ لم يغرْ منهُ ولكن لما

عادت الى حب انطونيوس وقتما التقت بهِ في طرسوس عاودتهُ الغيرة والآن قد اشتعل رأسهُ شيباً ومرَّت السنون وهي لا تظهر لهُ الاَّ كل ود واكرام وهو لم يقصر في خدمتها واخلاص الحب لها ولكن الحبَّ القديم حب الصبا والغيرة من انطونيوس لم يفارقا قلبهُ مع انهُ كثيراً ما لام نفسهُ على ذلك . وكلما رآها مع انطونيوس شعر كما يشعر رجل يحبُّ النقش اذا وجد حجراً كريماً منقوشاً نقشاً بديعاً وباعهُ لرجل غني لا يعرف قيمتهُ الفنيَّة . ومع شدَّة غيرتهِ من انطونيوس كان يتمنى لهُ الفوز التام على الاعداء لان فوزهُ فوز لها وفشلهُ فشل عليها

ودنت البارجة من المنارة واخرج ارخبيوس الجواز الذي يراهُ الموكلون بالسلسلة ليرفعوها من طريقهِ وسمع صوتاً يناديهِ باسمهِ فالتفت واذا ديون واقف في زورق ترفعهُ الامواج وتخفضهُ وكان قد رأى البارجة وعرف انها بارجة ارخبيوس من تمثال ايقورس الذي كان في مقدمها . وكان ديون قد نزل على جزيرة المنارة ودخل حانة البحارة يتنسَّم الاخبار فرأى انهم لا يعرفون شيئاً لان الريح كانت تهبُّ من البر فلا تستطيع السفن الكبيرة ان تدنو منهُ الاَّ بواسطة المجاذيف . وقال واحد منهم ان الريح تحوَّلت الآن من الجنوب الى الجنوب الغربي ولا بدَّ من ان تهبَّ الشمال غداً والاَّ فحرام عليَّ الخمر وحينئذٍ تأتينا السفن بالعشرات حاملة بشائر النصر ولقد رأيت سفينة في ظهر البحر عند مغيب الشمس . وصدَّق غيرهُ على كلامهِ وقالوا انهم رأوا شبه شراع عند الافق . وودَّ ديون ان يوغل في البحر ليقف على حقيقة الامر ولكن قاربهُ كان صغيراً لا يؤْمن السير فيهِ فلما رأى بارجة ارخبيوس اشار اليهِ ليأخذهُ معهُ لانهُ كان يعلم ان السُبل كلها ممهَّدة امامهُ فصعد الى البارجة ورُفعت السلسلة من طريقها ونشر شراعها فسارت تشق عباب الماء الى ان بان لمن فيها ضوء ضئيل في الافق الشمالي ثم جعل يقترب رويداً رويداً واذا هو في سفينة صغيرة وما دنت البارجة منها حتى كان الفجر قد بدا في الشرق الاَّ ان السفينة لم تكن قاصدة الاسكندرية على ما ظهر لانها ادارت مقدمها الى جهة الشمال الشرقي وكانت من سفن صقلية التي يجول بها القرصان لنهب سفن التجار

وتذاكر ارخبيوس وديون في اتّباع هذه السفينة وكان رأْي ارخبيوس ان لا يتبعاها اما ديون فكان يرغب في اتباعها لانهُ صار يحب اقتحام المخاطر ولو كان فيها هلاكهُ والحَّ على ارخبيوس وقال لا بدَّ من مكروه حلَّ بالاسطول وهذه السفينة تعلم بهِ والاَّ ما هربت من وجهنا لانهُ لو كان فيها بشارة تسرُّنا لاسرعت الينا . وهذا كان رأْي ربان البارجة ايضاً فسلَّم ارخبيوس لهما لان الشك والحيرة اقلقاهُ واضعفا ارادتهُ . واخبر ديون قبل ذلك عما رآهُ من بارين وعن انها عزمت ان تقفل بابها ولم تقبل دعوتهُ للذهاب الى قصرهِ خارج

المدينة الاَّ بعد تردُّد كثير . فجعل ديون يفكّر فيها وقال في نفسهِ ماذا يمنعني من الاقتران بها وهي من فضليات النساء جمال وذكاء وكرَم اخلاق وانا احبها وهي تحبني وقد قال ارخبيوس انها تودُّ ان تراني بين الذين يزورونها خارج المدينة وسأزورها حتمًا ولكنني اتقيد بها ولا اعود املك قياد نفسي . ثم قال ومن منا يملك قياد نفسهِ بعد ان يستولي علينا الرومانيون ويجعلوا مصر مثل قرطاجنَّة وكورنثُس . واذا تغلَّب الرومانيون على كليوباطرة فلا يعود شأن للمجلس البلدي الذي انا عضو فيهِ وتزول كل مقوّمات الاستقلال . فياحبذا لو اصابني سهم من سهام هؤلاء القرصان واراحني من حياة ستكون وقرًا عليَّ

ووصلت البارجة الى سفينة القرصان واسرتها واراد من فيها المقاومة ولكن ربَّان البارجة قال لهم ان بارجتهُ ليست من سفن الدولة وغاية ما تقصدهُ تنسُّم اخبار الحرب فسلموا من غير قتال . ونزل ارخبيوس وديون الى السفينة فرأوا ربانها شيخًا ضعيف الحال قال لهما انهُ لا يطلعهما على شيءٍ الاَّ بعد ان يعلم قصدهما . ثم قال ان البوارج المصريَّة تغلَّبت على بوارج اكتاڤيانوس ولما دققا السؤال وغالطاهُ صمت ثم قال انهُ لا يعرف شيئًا وانما ذكر فوز البوارج المصرية لكي يسرهما

ونزل ديون الى داخل السفينة يفتش فيها فوجد رجلاً مقيدًا بالقيود وكان بحارًا من اهالي بنُطُس فلم يفهم لغتهُ لكنهُ وجد صندوقًا فيهِ رسالة وثياب وجواهر ونظر الى الرسالة وهو لا يصدق ما يرى بعينيهِ لانها كانت معنونة بعنوان صديقهِ جورجياس ففضَّ ختامها وقرأها واذا هي من ارستوقراطس العالم اليوناني الذي كان مرافقًا لانطونيوس كتبها الى جورجياس من تناروم بامر انطونيوس لكي يعدَّ لهُ القصر الصغير الذي في طرف الخوما ويسورهُ بسور عالٍ ويتم ذلك باسرع ما يمكن

ووقف ارخبيوس وديون مبهوتين . وكان ارخبيوس على غاية من الدعة والرقة هذا هو شأنهُ غالبًا ولكنهُ اذا اغتاظ وابدى الحدَّة ارتجف كلهُ وصار بحيث يخشى بأسهُ ولا يؤمن جانبهُ فنظر الى ربان السفينة نظر الغيظ والتهديد وقال لهُ لا بدَّ من ان تخبرني بكل ما يتعلق بهذا الكتاب والاَّ استرجعت كل مواعيدي لك. ورأى الربان ان الكذب لم يعد ينفعهُ لاسيما وان الاسير كان يفهم اليونانية ولو لم يستطع التكلم بها فكان يؤيد ما يسمعهُ او ينفيهِ باشاراتهِ فاعترف ان السفينة كانت مع سفينة اخرى اكبر منها راصدة وراءَ رأس كريت ولم تكن السفينتان تعلمان شيئًا من امر الاسطولين واذا ببارجة صغيرة من اجمل البوارج واسرعها اسمها السنونو ( وهي رسول انطونيوس ) وقعت في شركهما فاسرتاها واقتسمتا اسلابها فاخذت السفينة الكبرى الجانب الاكبر من الغنيمة وهذه السفينة ما بقي . وكانت حقيبة المكاتيب والنقود مع

رجل عليهِ سمات المهابة والوقار جرح جرحاً بالغاً مات بهِ وطرح في البحر وحرقت المكاتيب كلها ولم يبقَ منها الَّا هذا

وقال البحّارة ان اسطول اكتافيانوس فاز على اسطول كليوباطرة ولكن الجنود البرية لم تكن قد التقت وقال الربان انهُ لا يعلم شيئاً من امر الجنود وانهُ اسر البارجة الصغيرة في تناروم وحرقها رجالهُ فغرقت امام عينيهِ

واتّضح من هذا الكتاب ان اسطول كليوباطرة غُلِب في الثاني والثالث من سبتمبر . فاين تكون الملكة الآن وما جرى لبوارجها كلها ولماذا لم تعُد حتى الآن وهي مملوءَة بالمجذفين فلا تعاق عن الرجوع ولو كانت الريح ضدها هل استولى اكتافيانوس عليها وهل احرقها او اغرقها ولكن كيف وصل انطونيوس الى تناروم حيث كتب الكتاب . هذه المسائل طُرحت على ربّان السفينة فلم يستطع ان يجب عنها . واخيرًا امر ارخبيوس ان يؤتى بالامتعة المسروقة الى بارجتهِ وفك قيود الاسير واطلق ربّان السفينة بعد ان اقسم انهُ لا يقيم في سفينتهِ بين كريت والاسكندريَّة

واقتضت الاعمال المتقدمة عدة ساعات وكانت البارجة قد اوغلت في البحر فصعب عليها الرجوع ضد الريح لكن الريح دارت الى جهة الشمال كما انبأ البحّار في الحانة فجرت البارجة مسرعة نحو المدينة وكان ارخبيوس وديون قد قضيا الليل كلهُ ولم يغمض لهما جفن فأكلا الآن وشربا والتفَّ كلٌّ منهما بردائهِ لان الشمال كانت تهبُّ باردة جدًّا وجعلا يمشيان على ظهر البارجة ذهابًا وايابًا وهي راجعة الى المدينة

وغاص ارخبيوس في بحار الافكار فارتسمت صورة كليوباطرة امام عينيهِ وهي واقفة في بارجتها وقد رفعت يديها تستغيث بهِ والبارجة آخذة في الغرق . ثم تصوَّرها واقفةً اسيرة ذليلة امام اكتافيانوس العاتي فبرد الدم في عروقهِ حتى كاد يجمد وتصورها مقيدة بسلال الذهب ترسف بقيودها امام مركبة اكتافيانوس واهالي رومية يهللون طربًا فاعترتهُ قشعيرة واصطكت ركبتاهُ فتنفَّس الصعداء وضرب جبينهُ بيدهِ فسمعهُ ديون والتفت اليهِ فرأى الدموع تتساقط من عينيهِ . وكانت هموم ديون تملأُ قلبهُ ولكنهُ لما رأى ارخبيوس على هذه الحالة شفق عليهِ ووضع ذراعهُ على عنقهِ وتوسَّل اليهِ ان لا يحول عمَّا يعهدهُ فيهِ من رحْب الصدر والصبر على المكاره . ثم قال ان كتاب انطونيوس يدلُّ دلالة واضحة على انهُ في حالة راضية والاَّ ما طلب ان يُعَدَّ القصر لنزولهِ . اما السور الذي امر ببنائهِ فلعل سببهُ انهُ اتى ببعض الاسرى من ذوي المقام الرفيع ويريد ان لا يصل احد اليهم . ولعلَّ الاحوال اصلح كثيرًا مما يظنان وهو لا يود للملكة الَّا الفوز التام لانها تستحق ذلك ولان فوزها ينجي الاسكندرية من غطرسة

الرومانيين والاَّ صارت الحياة حملاً لا يطاق

ووقع كلام ديون كالبلسم في نفس ارخبيوس فسكن اضطرابهُ وقال لديون وهب ان اكتافيانوس تغلَّب على كليو باطرة واستولى الرومانيون على الاسكندرية فهيهات ان يتيسَّر لهم نزع الاستقلال من نفوسنا او التعرُّض لادارة شؤُوننا الداخلية . ثم جعل يشرح الاساليب التي يمكن الاعتماد عليها للاحتفاظ بحرية المدينة والاستفادة من السعي والعمل . وكان كلامهُ كلام رجل خبير وفيلسوف محنَّك لم يسمع ديون احداً كلمهُ بمثلهِ بعد موت ابيهِ. وارتبط قلبا ذينك الرجلين في تلك الساعة ارتباطاً وثيقاً لانهُ لا شيء يؤَلف القلوب مثل الاشتراك في المصائب والاهتمام بالنجاة منها

وكان ديون معتدًّا بنفسهِ يُستشار ولا يستشير احداً . يقصدهُ اصدقاؤُهُ ويطلعونهُ على ما يشكون منهُ ضيما فينصحهم بالحسنى ويبذل جهدهُ في تخفيف همومهم واذا خامرهُ همٌّ كتمهُ في اعماق نفسهِ ولم يكاشف بهِ احداً . اما الآن فرأى امامهُ صديقاً ودوداً ورجلاً خبيرًا عرك الدهر وذاق ما فيهِ من خل وخمر فودَّ ان يشكو اليهِ امرهُ لا سيما وانهُ كان يعرف بارين ويودُّ لها الخير ولا تخلو مشورتهُ من فائدة فجعل يفكر كيف يبتدئ الكلام ثم قال

لقد رأيتُ منك عطف الوالد على ولدهِ فاحسب انني ابنك وانني اتيت اخبرك ان امرأَة تمكن حبها من قلبي فهل تريد ان تكون كنَّة لك

فقال ارخبيوس هوذا شعاعة من النور في هذه الظلمة المدلهمَّة افعل بما يوحي بهِ اليك قلبك فانهُ يجدر بكل رجل ان يتزوَّج وذلك حقٌّ لوطنهِ عليهِ واليوناني لا يصير رجلاً كاملاً ما لم يتزوج ويولد لهُ اولاد . ولقد حرمت من هذه النعمة لاسباب لا داعي لذكرها ولكنني طالما حسدت الاسكاف حينما اراهُ في دكانهِ واولادهُ حولهُ والنجَّار حينما يعود الى البر فيجد زوجتهُ واطفالهُ واقفين في انتظارهِ . وانا ادخل بيتي فلا اجد احداً في انتظاري غير الكلاب . وانت من عائلة عريقة في النسب فلا يليق بك ان تقطع حبل اتصالها

فقال ديون وهذا هو سبب تردُّدي في هذا الامر مع انني سريع الحزم في غيرهِ من الامور فانك تعرفني وتعرف مقام عائلتي في المدينة وتعرف ايضاً المرأة التي اشير اليها

فقال ارخبيوس اتعني ايراس . لان اختهُ شارميان اخبرتهُ ان ايراس كانت تحب ديون

فقال كلاَّ بل بارين ابنة صديقك ليونكس فاني احبها ولكنني اخاف من انها لا ترى عندي ما يرضيها فانك تعرف امي وتعرف طباعها فهي امرأَة مستقلَّة بنفسها لا يهمها من الدنيا غير ابنها وبيتها ومغزلها وهي تطلب من كل امرأَة ان تكون مثلها ويقيني انها تفتح ذراعيها لبارين اذا عرفت انني احبها ولكن هل تستطيع بارين ان تعيش مع امي وترضى بما ترضى

بهِ بعد ان اعتادت معاشرة عظماء البلاد وعلمائها ويخطر ببالي انها لا بدَّ من ان تبقى على ما اعتادتهُ وان ذلك ربما يطلق الالسنة عليها وعليَّ

فقال ارخبيوس ان خوفك لا محل لهُ اذا كانت بارين تحبك. وانت اهل لمحبتها فاذهب وقدّمْ ذبائح الشكر لالهتك لانها اختارت لك بارين ولم تختَرْ ايراس ابنة اختي. ولو كنتَ ابني حقيقة ما كنت لاسرُّ بكنة اخرى اكثر ممَّا اسرُّ ببارين هذا اذا كنت واثقاً انها تحبك

فنظر ديون الى ما امامهُ هنيهة ثم قال نعم انا واثق

## الفصل العاشر

رست بارجة ارخبيوس امام هيكل بوسيدون وأُمر بحارتها ان لا يذكروا شيئاً عمَّا شاهدوهُ وسمعوهُ وكان الناس مزدحمين على الشاطئ يترصدون مجيء السفن ببشائر النصر. وشاعت بينهم اخبار كثيرة متناقضة اهمها ان سفينة من سفن صاموس اخبرت بارجتين من بوارج الدولة ان انطونيوس تغلَّب على اكتافيانوس في البر واسطول كليوباطرة تغلب على اسطولهِ في البحر. ولم يصدق عقلاء الاسكندرية هذه الاشاعات وكانوا يوجسون شرًّا ولكنهم خافوا ان يجاهروا بما يظنونهُ لان رجلاً من الاغنياء وهو صاحب معمل تصنع فيهِ الثياب الموشاة بالقصب حذَّر الناس من المغالاة في اظهار مسرتهم قبل اوانها فهجموا عليهِ وضربوهُ ضرباً مبرحاً وسمعوا اثنين آخرين ينذران بالشر فرموهما في البحر

ولا يلام العامَّة على ذلك اذا رأوا من الخاصَّة ما يثبت لهم فوز الملكة فقد اقام الخاصَّة اقواس النصر امام القصور وفي كل الاماكن العموميَّة وزيَّنوها بتماثيل الهة النصر واكاليل الازهار والرياحين وطوقوا ابراج الهياكل ومسلاتها باطواق من الازهار. وبقي جورجياس الليل كلهُ يهتمُّ بتزيين الشارع الكبير شارع اليونان المعروف بالبروشيوم وكذلك ايراس ونائب الملكة والمهردار لم يغمض لهم جفن

ولما وصل ارخبيوس الى غرفة ايراس رآها في حالة يرثى لها فقد كانت في اليوم السابق عندهُ في قنوبس ووجهها يتدفق بهجةً وسروراً اما الآن فرآها صفراء شاحبة كأنها عجوز طاعنة مع ان سنها لا يزيد على سبع وعشرين سنة ولما وقعت عينها على عينهِ مدَّت اليهِ يدها وقالت ما وراءكِ من الاخبار فقال لا ما يسرُّ ولا ما يسيء ولكن ما هذا الاسوداد تحت عينيكِ لا بدَّ من انكِ سمعتِ خبرًا ساءكِ. فقالت نعم واكثر من خبر ودفعت اليهِ كتاباً جاءها من الملكة فاخذ الكتاب واذا هو مكتوب بيد الملكة وفيهِ تقول

" فشلنا في الحرب البحريَّة واللوم عليَّ وقد يكون الفوز لنا في الحرب البريَّة ولكن ليس

بقيادتهِ وهو معي الآن لم يُصَب بمكروه ولكنهُ خائر القوى فارقتهُ الهمة والحيلة والشجاعة وقد دنت آخرتنا . حينما يصلكِ كتابي اعدي لنا محفّات بسيطة وارسليها الى المرفإ كل مساء بعد مغيب الشمس واقنعي الشعب اننا ظفرنا الى ان تأْتي الاخبار الاكيدة عن الجنود البريَّة . قبّلي عني الاولاد واعتنِ بهم فما اقرب التيتُّم منهم . فارق السعد امهم وعسى ان لا تفارقها شجاعتها . لا تثقِ الاَّ بالذين سلمتُ زمام الاحكام اليهم وبارخبيوس . واياكِ ان تثقي بقيصاريون او بانتاس . لا يمكنني ان اختم كتابي بقولي "افرحي" بل بقولي "تشجعي" كما تختم الكتابة على المدافن . انكِ لم تغاري مني في نعيمي فيسهل عليكِ ان تساعديني في بؤْسي . ولقد اصاب ابيقورس بقولهِ ان الالهة ترقب احوال العباد ولكنها لا تدفع عنهم مكروهاً اما انتِ فاني واثقة بمحبتك"

ولم يكد ارخبيوس يتم القراءة حتى اصفرَّ وجههُ وارتخت مفاصلهُ وسقط الكتاب من يدهِ فجلس على مقعد وغطَّى وجههُ بيديهِ ونظرت ايراس اليهِ وهزَّت رأْسها وكان الكتاب قد فعل بها حينما قرأَتهُ كما فعل بهِ لكنها لم تجاس مثلهُ كأَنها عدمت الحيلة بل اخذت تفكر في ما يجب اتخاذهُ من الطرق لاستقبال مولاتها ودفع الضر عنها وقابلت رجال الدولة واطلعتهم على مضمون الكتاب واستشارتهم في ما يجب عملهُ وهي لا تعدُّهم شيئاً في جنب خالها لما هو مشهور عنهُ من علو الهمة وصدق العزيمة والتفاني في خدمة مولاتهِ لكنهُ جلس الآن كاضعف الناس . فهل نفوس النساء مرنة تنضغط ثم تعود الى شكلها الاول او ان نفسها اكبر من نفس غيرها وجسمها النحيف يحوي نفساً عظيمة تنبو عنها النوائب . وترجَّح لها ذلك لان النائب والمهردار اصابهما ما اصاب ارخبيوس لما سمعا اخبار الملكة وقد كانت تعذرهما لان النائب خصيٌّ فقد كثيراً من اخلاق الرجال والمهردار من المؤلفين الذين قويت فيهم قوة التصور فسرَّ الملكة بما كان يستنبطهُ من اساليب الزينات والحفلات اما ارخبيوس فانهُ من ذوي الهمم العالية والحيل الواسعة فلم تكن تنتظر منهُ الاَّ رحْب الصدر والصبر على المكاره . ثم خطر ببالها انهُ وان علاهُ الشيب لا يزال يكنُّ في قلبهِ جراحاً لم تبرأْ الجراح التي اصابتهُ من سهام الحب في صباه فانهُ كان يحب كليوباطرة كما تحب هي ديون وقالت لعلي أَصاب بما أُصيب بهِ اذا بلغني ان قد حلَّت بديون مصيبة كبيرة تعدمهُ الحياة والشرف . ولما خطر ببالها ذلك جعلتْ تفكرّ في ديون واستغربت ابتعادهُ عنها حينئذٍ وحسبت انها ربما تكون قد اغاظتهُ ثم قالت لعلَّ تلك الساحرة حفيدة ديديموس فتنتهُ . وعادت تلوم نفسها لانها افتكرت بديون وقتما يجب ان لا يكون لها شاغل الاَّ حال مولاتها

( ستأْتي البقية )